وزارة الثقافة
الهيئة العامة للمركز الثقافى القومى
دار الأوبرا المصرية

صالونات أكتوبر

المشير : محمد عبد الغنى الجمسى

المشير : محمد على فهمى

دراسة وإعداد
عبده مباشر

سلسلة صالونات الأوبرا الثقافية

95

صالونات أكتوبر

المشير: محمد عبد الغني الجمسي

المشير: محمد علي فهمي

سلسلة صالونات أكتوبر

رئيس مجلس الإدارة: د. مصطفى ناجى
رئيس الهيئة العامة للمركز الثقافى القومى
الإشراف العام: محمد سالم
مدير عام الإدارة المسرحية والنشاط الثقافى
هيئة التحرير: أمين الصيرفى
سمير عوض
محمد ظريف
أحمد سلامة
عباس محمد سلامة
محمد عبدالرحيم

الطبعة الأولى أكتوبر ١٩٩٨م

اهداءات ١٩٩٩

دار الاوبرا المصرية

الهيئة العامة للمركز الثقافى القومى

سلسلة صالونات الأوبرا الثقافية

صالونات أكتوبر

المشير محمد عبدالغنى الجمسى
المشير محمد على فهمى

دراسة وإعداد

عبده مباشر

تقـــديم

صالونات الأوبرا الثقافية التى قدمها النشاط الثقافى بدار الأوبرا المصرية منذ عام ١٩٩٢ وتتواصل حلقاتها حتى الآن، وقد استضافت عبر هذه السنوات مجموعة كبيرة من الرواد والرموز المصرية، التى خلدت اسمها فى تاريخ مصر المعاصر بما أعطته من علم وخبرة وريادة غير مسبوقة فى مجالاتها المعرفية المختلفة سواء فى الفن أو الثقافة، أو العلم، أو الفكر . . .

تلك الصالونات فتحت للمثقفين والمتذوقين منافذ جديدة للحوار والتواصل مع الرواد والمفكرين. وصارت بالإضافة إلى كونها ملمحاً وحدثاً ثقافياً هاماً . . شهادات للتاريخ على لسان أصحابها وستظل هذه الشهادات درساً مستفاداً للأجيال القادمة.

وهذه السلسلة من الكُتُب ثمرة من ثمار هذه الصالونات الثقافية، تنشر من خلالها الحوارات والشهادات التى قدمها هؤلاء الرواد فى صالوناتهم رغبة فى المزيد من الفائدة للمثقف والمتذوق والناقد، وتأريخًا لتلك الحوارات التى ستبقى للأجيال القادمة جزءاً من تراثه المعاصر وذاكرته.

ولمزيد من الفائدة تم تجميع أكثر من صالون فى كتاب واحد، يجمع بينها ملامح مشتركة أو رؤى متكاملة أو مجال واحد، كى يصير كل كتاب فى حد ذاته مرجعًا وعملاً ثقافيًا متميزًا له أهمية تضاف لأهمية تلك الحوارات والصالونات. . لعلنا نكون قد أضفنا. بهذا إضافة بناءة للمكتبة المصرية والعربية.

د. مصطفى ناجى

رئيس الهيئة العامة للمركز الثقافى القومى

مقــدمة

بقلم : عبده مباشر

لكل من المشير محمد عبد الغنى الجمسى وزير الدفاع الأسبق ، والمشير محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى مكانة كبيرة فى التاريخ ، فقد تحمل كل منهما مسئوليات كثيرة ورئيسية وحيوية خلال فترة تألقت فيها العسكرية المصرية وتمكنت من فرض إرادتها على إسرائيل فى حوار الدم والنيران . . وصدام الإرادات والمصالح ، الذى بدأ فى نهاية الأربعينيات ، واستمر حتى ما بعد منتصف السبعينيات .

خلال هذه الفترة شغل الجمسى منصب رئيس أركان القوات الموجودة بالجبهة تحت قيادة اللواء أحمد إسماعيل قائد الجبهة وقتذاك ، أى فى الأيام التالية لنكبة يونيو ١٩٦٧ ، وقد ربطت بين الرجلين علاقة صداقة وثيقة ، أتاحت لهما أن يتعاونا معا وينجحا معا دائما .

وأتاحت لهما الظروف أن يكونا معا من جديد ابتداء من ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ ، عندما وقع اختيار الرئيس أنور السادات على اللواء أحمد إسماعيل مدير المخابرات العامة ، ليسند إليه مسئولية منصب وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ، خلفا للفريق أول محمد صادق .

وهكذا أصبحت قمة القيادة العامة تتكون من الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية القائد العام والفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان واللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات .

وظلت هذه القمة تعمل معا للإعداد للمعركة ، كان التعاون وثيقا خاصة بين أحمد إسماعيل والجمسى .

وعندما حانت لحظة إطلاق الحرب من عقالها ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ذاقت مصر الثمار الحلوة لقرار الحرب الشجاع الذى يرجع الفضل فيه للرئيس أنور السادات ، وللأداء الجيد للقوات المسلحة ككل ، وكان الانتصار .

أما المشير محمد على فهمى رجل الدفاع الجوى ، فهو الأب الحقيقى للقوة الرابعة أى للفرع الرابع للأفرع الرئيسية للقوات المسلحة التى كانت تضم القوات البرية والبحرية والجوية ، وقبل أن يتقرر إنشاء الفرع الرابع ، قوات الدفاع الجوى .

كان الدفاع الجوى تابعا للقوات الجوية وعلى ضوء معركة يونيو ١٩٦٧ ، تقرر فصل الدفاع الجوى عن القوات الجوية ، وفى يونيو ١٩٦٩ يصدر القرار الخاص بإنشاء قوات الدفاع الجوى وتعيين محمد على فهمى قائدا لها .

ولكن كيف تم ذلك ؟

عندما عاد الرجل من بعثته بكالينين بالاتحاد السوفييتى تم تكليفه بإلقاء محاضرة عام ١٩٦٦ . . فى هذه المحاضرة التى شهدها كبار القادة ، توقع الرجل أن تهاجم إسرائيل بقوتها الجوية من ارتفاعات منخفضة لتتجنب

أجهزة الرادار، وطالب الرجل بأجهزة رادار للارتفاعات المنخفضة وبأسلحة وصواريخ قادرة على التعامل مع مثل هذه الهجمات الجوية.

وكان كأنه يقرأ من كتاب مفتوح، فما جرى فى يونيو كان تطبيقا لما توقعه أو استنتجه . . ولم يجد الفريق أول محمد فوزى الذى تحمل المسئولية عقب النكبة أفضل من هذا الرجل ليسند إليه مسئولية قيادة الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات.

وعندما ولدت القوة الرابعة بعد ذلك بعامين، لم يكن هناك من هو أهل لهذه المسئولية، أفضل من محمد على فهمى، وخلال تحمله لهذه المسئولية، جمعت الصداقة بينه وبين القادة من مختلف المستويات، وإن ربطت الصداقة بينه وبين الجمسى . . وتشاء الظروف أن يتعاونا معا من جديد لا كرئيس هيئة عمليات وقائد قوات الدفاع الجوى، كما كان الأمر خلال المعركة، بل كوزير ورئيس أركان جديد.

فقد وقع اختيار السادات على محمد عبد الغنى الجمسى ليسند إليه مسئولية منصب وزير الحربية القائد العام، ثم ولأول مرة يختار رجلا من الدفاع الجوى لمنصب رئيس الأركان، الذى كان يشغله فى معظم الأحيان قادة من المشاة.

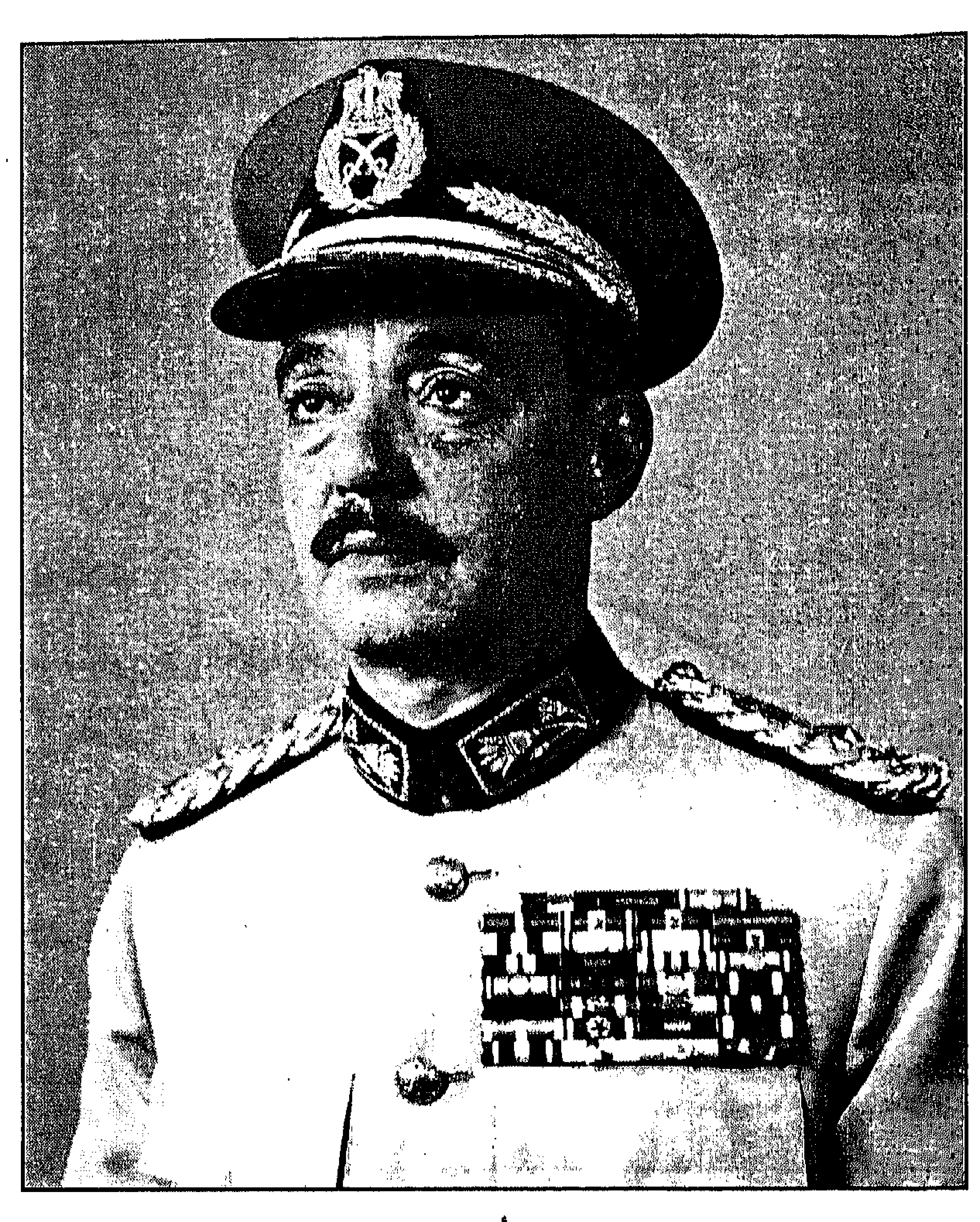
ويصبح محمد على فهمى رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة اعتبارا من ٤ يناير ١٩٧٥.

ويتعاون الرجلان معا، وعندما يقرر السادات إسناد مسئولية منصب وزير الدفاع ورئيس الأركان لقيادتين جديدتين، يتم إعفاء الرجلين معا

وهما يشرفان على طابور العرض العسكرى وبرامج الاحتفال بالسادس من أكتوبر عام ١٩٧٨ .

ويصدر القرار بإعفائهما معا يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٨ ، وقبل يوم الاحتفال بـ ٤٨ ساعة .

ويسجل التاريخ للرجلين، أنهما تفانيا فى حمل أمانة المسئولية وأنهما قدما لمصر وللقوات المسلحة ما يخلد اسميهما فى التاريخ .



صالـون الأوبـرا الثقافـى

المشير محمد عبد الغنى الجمسى

٧/١٠/١٩٩٢ م

المشير

محمد عبد الغنى الجمسى

- ولد فى ٩/٩/ ١٩٢١ فى قرية البتانون - منوفية .

المؤهلات:

- تخرج فى الكلية الحربية فى ١/ ١١/ ١٩٣٩

- حصل على بكالوريوس العلوم العسكرية عام ١٩٣٩ ، ثم كلية القادة والأركان عام ١٩٥١ ، ثم إجازة أكاديمية ناصر العسكرية العليا (كلية الحرب العليا) عام ١٩٦٦م .

التدرج الوظيفى:

- رقى إلى رتبة فريق عام ١٩٧٣ ، ورتبة فريق أول عام ١٩٧٤ ، ورتبة مشير عام ١٩٨٠ .

- تقلد عددا من الوظائف الرئيسية بالقوات المسلحة :

* قائد آلاى استطلاع مدرع - أركان حرب سلاح المدرعات - قائد لواء مدرع - قائد مدرسة المدرعات .

* رئيس عمليات القوات البرية عام ١٩٦٦ ـ رئيس أركان جبهة قناة السويس عام ١٩٦٧ ـ نائب مدير المخابرات الحربية والاستطلاع عام ١٩٦٨ قائد مجموعة عمليات الجبهة السورية عام ١٩٧٠ .

* رئيس هيئة تدريب القوات المسلحة عام ١٩٧١ .

* رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة عام ١٩٧٢ .

* رئيس أركان حرب القوات المسلحة عام ١٩٧٣ .

* وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة عام ١٩٧٤ .

نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية والإنتاج الحربى والقائد العام للقوات المسلحة عام ١٩٧٥ .

* عين مستشارا عسكريا لرئيس الجمهورية عام ١٩٧٨ ، تقاعد بناء على طلبه فى ١١ نوفمبر ١٩٨٠ .

ـ قام بالعمل فى قوات الحدود فى الصحراء الغربية خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٠ ، كما اشترك فى معركة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وفى معركة يونيو ١٩٦٧ ، ثم فى معركة أكتوبر ١٩٧٣ .

ـ عين رئيسا للوفد العسكرى المصرى فى مباحثات الكيلومتر ١٠١ بعد توقف القتال فى معركة أكتوبر ، ورئيسا للوفد العسكرى المصرى فى المفاوضات العسكرية المصرية الإسرائيلية .

ـ حصل على ٢٤ نوطا وميدالية ووسامًا من مصر والدول العربية والأجنبية ، آخرها وسام نجمة الشرف العسكرية من مصر .

(الجمسى.. والمعركة)

فى صالون الأوبرا الثقافى قدم المشير محمد عبد الغنى الجمسى للصالون بسرد مشواره فى القوات المسلحة فقال:

أبدأ بالحديث عن تاريخ حياتى فى القوات المسلحة مع ربطها ببعض مراحل التطور التى حدثت فى القوات المسلحة .

حياتى بدأت فى القوات المسلحة منذ أن تخرجت من الكلية الحربية فى أول نوفمبر عام ١٩٣٩ ، وانتهت خدمتى بها وأنا فى وظيفة نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة فى أكتوبر عام ١٩٧٨ ، أى أن مدة خدمتى فى القوات المسلحة ٣٩ سنة خدمة عسكرية . هذه السنوات شهدت كل المعارك التى تمت بين العرب وإسرائيل، وهو ما نطلق عليه الصراع العربى الإسرائيلى . وهذا الصراع اشتمل على كل المعارك التى خاضتها مصر بالذات منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ .

كان سلاحى عندما تخرجت من الكلية الحربية هو «سلاح الفرسان» فى ذلك الوقت، وهو الذى أطلق عليه بعد ذلك «سلاح المدرعات» . عندما تخرجت من الكلية الحربية وجدت نفسى مع مجموعة من الضباط

عددها حوالى عشرة ضباط ، وقد أوفدنا للعمل فى الصحراء الغربية فى مطلع الحرب العالمية الثانية ، وذلك بوحدات «الحدود» التى كانت متمركزة فى المنطقة من مدينة السلوم شمالا إلى واحة «سيوة» جنوبا. والخدمة فى وحدات الحدود فى هذا الوقت المبكر علمتنى الكثير. علمتنى أولا قوة التحمل ، وثانيا الانضباط الشديد ، وثالثا ألا نخاف من الصحراء ، ورابعا التنفيذ الشديد والدقيق للمهام التى نكلف بها . وحتى لا يطول كلامى فى هذا الموضوع ، فإنى أقول إنه حدث أثناء وجودى بالخدمة فى واحة سيوة - وأنا برتبة الملازم فى ذلك الوقت - حدثان مهمان .

الحدث الأول: كانت القوات البريطانية بمنطقة الصحراء الغربية المصرية ، فى حين كانت القوات الإيطالية موجودة فى ليبيا ، وسيتم الصراع المسلح بينهما ؛ لأن القوات البريطانية كانت ضمن قوات الحلفاء بينما كانت القوات الإيطالية ضمن قوات المحور . كان من الواجب على القوات البريطانية أن تحصل على معلومات دقيقة عن القوات المعادية لها وهى القوات الإيطالية الموجودة فى ليبيا .

كانت قوات الحدود تحصل على المعلومات المطلوبة لها بالنظر أو باللاسلكى أو بالمساعدات الأخرى الموجودة معهم . ثم فكروا فى وسيلة أخرى للحصول على المعلومات عن القوات الإيطالية . كانت هذه الوسيلة هى الوصول إلى عمق القوات الإيطالية داخل ليبيا للحصول على هذه المعلومات بدوريات نطلق عليها حاليا اسم «مجموعات مؤخرة العدو» . كنت أقوم بعمل دوريات مع القوات البريطانية سميت «دوريات الصحراء بعيدة المدى» . كنا نخرج بالدوريات من واحة

سيوة، نسير بالعربات في غرود الرمال التي يصعب جدا اختراقها وبالتالى - بعد يوم سير أو عدة أيام - نصل حول واحة الكفرة في ليبيا أو جنوب مدينة بنى غازى للحصول على المعلومات عن القوات الإيطالية المتمركزة هناك لصالح القوات البريطانية، ثم نعود للأراضى المصرية عبر الغرود والصحراء. وكانت هذه الدوريات إحدى المهام التي كلفت بها ونفذتها بكفاءة والحمد لله بأوامر من القيادة العسكرية المصرية الموجودة في واحة سيوة حينئذ .

والقوات المصرية التي كانت تتمركز في الصحراء الغربية، كانت محدودة الحجم؛ لأنها كانت تضم عدداً محدوداً من كتائب المشاة بعضها في مرسى مطروح بخلاف قوات الحدود التي كنت أخدم فيها . وكان العمل الرئيسى للقوات المصرية بالصحراء الغربية، تقديم المعاونة للقوات البريطانية هناك، وبصفة خاصة القيام بأعمال الدفاع الجوى بالتعاون مع قوات الدفاع الجوى للقوات البريطانية، وقيام قوات الحدود بعمل دوريات ونقط الاستطلاع على الحدود المصرية الليبية وداخل ليبيا؛ للحصول على المعلومات العسكرية لصالح القوات البريطانية المتمركزة في الصحراء الغربية في مواجهة القوات الإيطالية المتمركزة في ليبيا .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية منحت الحكومة البريطانية بعض الضباط المصريين الذى خدموا في الصحراء الغربية «ضباط الدفاع الجوى وبعض ضباط الحدود» ميدالية إنجليزية لكل منهم اسمها M. B. E وكنت أحد هؤلاء الضباط . وقد استلمنا هذه الميداليات من السفارة البريطانية بالقاهرة بتصديق وأوامر قيادة الجيش المصرى حينئذ .

والحدث الثانى: فى الصحراء الغربية فى الحرب العالمية الثانية نشبت معركة «سيدى برانى». هذه المعركة دارت بين الجيش العاشر الإيطالى بقيادة الجنرال جرازيانى والقوات البريطانية فى الصحراء الغربية. وقد اخترقت القوات الإيطالية الحدود المصرية وتقدمت حتى منطقة سيدى برانى ثم توقفت هناك.

وقامت القوات البريطانية بالهجوم ضد القوات الإيطالية حيث اخترقت خطوطها الدفاعية حتى اضطرتها للانسحاب من الأراضى المصرية إلى ليبيا. كانت القوات البريطانية أقل حجما من القوات الإيطالية، ولكنها تتميز بخفة الحركة وقوة النيران، بينما كانت القوات الإيطالية أكبر حجما ولكنها لم تكن تتميز بخفة الحركة، وتتسم بالبطء فى الحركة، واتخذت خطوطا ومواقع دفاعية طويلة يسهل اختراقها بواسطة عدوها. وكانت نتيجة معركة سيدى برانى نصرا للقوات البريطانية وهزيمة للقوات الإيطالية. وقد تعلمنا من هذه المعركة كدروس مستفادة أن القوات خفيفة الحركة مع قوة نيران قوية يمكنها التغلب على قوات معادية أكبر منها حجما وبطيئة الحركة.

وأنتقل بسرعة إلى المرحلة التالية من تاريخ حياتى العسكرية، وهى أساسا عن الصراع العربى الإسرائيلى. وقد اشتمل هذا الصراع على سلسلة من المعارك التى تمت بين مصر وإسرائيل.

معركة عام ١٩٤٨:

فى عام ١٩٤٨ اندلعت الحرب بين العرب والمنظمات الصهيونية فى

فلسطين. ولم تتمكن الجيوش العربية من المحافظة على حقوق الشعب الفلسطيني فى أرض فلسطين، والنتيجة النهائية لهذه المعركة أن اليهود أقاموا الدولة وأعلنوها، بل توسعوا أكثر وكونوا دولتهم - إسرائيل - فى مساحة أكبر من المساحة المقررة لهم فى قرارات هيئة الأمم المتحدة حينئذ.

هذه الحرب هى الحرب الوحيدة التى لم أشترك فيها ولكنى عاصرتها فقط، لأنى كنت فى الولايات المتحدة الأمريكية فى بعثة تعليمية أوفدتنى لها القوات المسلحة.

وقد استمرت هذه البعثة حوالى سنة، كانت فرصة لى للتعرف على بعض الولايات الأمريكية فى الشمال «بنسلفانيا» وفى الجنوب «جورجيا». وكنت موفقا فى دراستى هناك وحصلت على درجات ممتازة فى هذه الدراسة.

وقد شعرت من الضباط الأمريكيين الذين كانوا معى فى الدراسة أنهم لا يكنون الود للضباط اليهود. وفى الوقت نفسه كنت أشعر - فى مجال السينما - أن ما ينشر عن العرب حينئذ يسىء لهم فى كل المجالات.

ويهمنى أن أركز على ما تم فى معركة فلسطين من الناحية العسكرية، وأقول إن السبب الرئيسى فى عدم تحقيق الدول العربية لهدفها فى هذه الحرب، هو عدم وجود التعاون العسكرى بين جيوشها. ومن المؤسف أن عدم التعاون العسكرى بين الدول العربية لم يتحقق فى المعارك التالية فى الصراع العربى الإسرائيلى أعنى بذلك الاعتداء الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، وكذا معركة يونيو ١٩٦٧ ثم معركة الاستنزاف. وكانت معركة أكتوبر ١٩٧٣ هى المعركة الوحيدة التى تحقق فيها التعاون العسكرى بين مصر وسوريا، وكان ذلك سببا من أسباب نصرنا فى هذه

المعركة. ومن المؤسف حقا أن تكون الدول العربية مفككة إلى هذا الحد في تلك المعارك بالنسبة للهدف السياسي في كل معركة من تلك المعارك، وبالتالي لم يكن هناك تعاون عسكري بينها. ولعلنا نتذكر أن بعض الدول العربية لم تكن تتمتع بالاستقلال أثناء معارك ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ أو كانت ترتبط سياسيا ببعض الدول الأجنبية الكبرى التي لم تكن تسمح لبعض الدول العربية بالاشتراك في هذه المعارك.

معركة الاعتداء الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦:

وأنتقل بسرعة للحديث عن المعركة التالية بعد معركة فلسطين، وأعني بذلك الاعتداء الثلاثي الإنجليزي الفرنسي الإسرائيلي عام ١٩٥٦ على مصر.

لقد كانت مصر في مرحلة بناء القوات المسلحة بعد عقد صفقة أسلحة سوفييتية - عن طريق تشيكوسلوفاكيا - لأول مرة. وكانت هذه الصفقة نصرا سياسيا كبيرا للاتحاد السوفييتي ومصر، وصدمة قوية للولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وفرنسا وإسرائيل.

لقد كانت مصر في حاجة لتسليح قواتها المسلحة للدفاع ضد اعتداءات إسرائيل المتكررة. وحاول الرئيس عبد الناصر الحصول على السلاح من الولايات المتحدة دون جدوى. ولذلك عقد الصفقة مع الاتحاد السوفييتي، وكان ذلك إيذانا بكسر سياسة احتكار السلاح لأول مرة. وكان رد فعل عقد هذه الصفقة شديدا لدى الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا التي أصبحت تنظر لهذا التطور الجديد نظرة خطيرة.

وحانت الفرصة أمام إنجلترا وفرنسا وإسرائيل عندما قامت مصر بتأميم شركة قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦، فشنت الدول الثلاث حربا ضد مصر لإعادة احتلال منطقة القناة وإسقاط نظام حكم الرئيس عبدالناصر.

كانت خطة العدوان ـ تنفيذا لاتفاقية «سيفر» التى عقدت سرا بين الدول الثلاث فى فرنسا ـ تقضى بأن تقوم القوات الإسرائيلية يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ بمهاجمة القوات المصرية فى سيناء بهدف الوصول إلى منطقة القناة فى اليوم التالى.. وتوجه الحكومتان البريطانية والفرنسية يوم ٣٠ أكتوبر نداء إلى الحكومتين المصرية والإسرائيلية تطلبان فيه وقف إطلاق النيران وسحب كل القوات المسلحة إلى مسافة عشرة أميال بعيدا عن قناة السويس، وأن تقبل مصر احتلال المواقع الرئيسية على القناة بواسطة قوات بريطانية وفرنسية لضمان حرية المرور فى القناة لكل السفن من كل الدول إلى حين الوصول إلى ترتيبات نهائية مضمونة.. وإذا رفضت مصر هذا النداء أو تأخرت فى إعلان موافقتها عليه خلال ١٢ ساعة، فإن القوات البريطانية الفرنسية تقوم بالهجوم على القوات المصرية فى الساعات الأولى من صباح يوم ٣١ أكتوبر، ونصت الاتفاقية أيضا أن يكون لإسرائيل أن ترسل قوات لاحتلال شاطئ خليج العقبة وجزر تيران وصنافير لكى تضمن حرية الملاحة فى الخليج.

كان دور إسرائيل فى هذه الحرب هو أن تقوم بهجوم برى ضد قواتنا فى سيناء (مواقع أبو عجيلة) مع إسقاط قوة من رجال المظلات فى المنطقة شرق «ممر متلا» على مسافة ٦٥ كيلو مترا من القناة. يلى ذلك قيام القوات البريطانية الفرنسية بهجوم جوى ضد المطارات المصرية لتدمير

الطائرات بها ، وإسقاط جوى وإنزال بحرى على نطاق واسع فى منطقة القناة لاحتلالها . ويكون المبرر لذلك أمام الرأى العام العالمى أنها عملية عسكرية للفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية لتأمين حرية الملاحة فى القناة أمام كل السفن لكل الدول .

ومن الواضح أن فكرة خطة العدوان كانت تهدف إلى استخدام إسرائيل لجذب القوات المصرية إلى سيناء لمواجهة الهجوم الإسرائيلى الثانوى ، وبالتالى يسهل احتلال منطقة القناة بقوات الهجوم الرئيسى - الإنجليزى الفرنسى - وتدمير القوات المصرية الموجودة فى سيناء بالتعاون مع القوات الإسرائيلية ، وبذلك يتحقق الهدف السياسى الذى كانت تهدف إليه الدول الثلاث ، وهو احتلال منطقة القناة وإسقاط حكم عبدالناصر .

انتهى العدوان بفشل سياسى وعسكرى لكل من إنجلترا وفرنسا ، كما أن إسرائيل ظهرت بوضوح كقاعدة متقدمة للدول الكبرى التى تحاول السيطرة على الدول العربية .

أما عن القوات المصرية فقد نجحت فى معركتى أبو عجيلة ومتلا ، وقامت بإخلاء سيناء بقرار سياسى تفاديا لحصارها وتدميرها فى حالة احتلال إنجلترا وفرنسا لمنطقة القناة . كما أنها اضطرت أيضا لإخلاء بورسعيد تحت ضغط القوات البريطانية الفرنسية المتفوقة عليها تفوقا ساحقا .

وبعد أن توقفت النيران فى سيناء ظهر أحد أهداف إسرائيل التوسعية ، عندما أعلن بن جوريون فى الكنيست «أن السيادة المصرية على سيناء قد سقطت وأصبحت سيناء جزءا لا يتجزأ من إسرائيل» وكانت صدمة

لإسرائيل عندما اضطرت للانسحاب من سيناء وقطاع غزة بعد انس
القوات الإنجليزية الفرنسية من بور سعيد .

وبانتهاء العدوان الثلاثى ، كانت إسرائيل قد حققت أحد أه
السياسية بفتح مضايق تيران فى مدخل خليج العقبة أمام الم
الإسرائيلية ، بعد أن قررت الأمم المتحدة وضع قوات دولية فى شرم ا
وعلى حدودنا الشرقية وعلى حدود القطاع الفلسطينى فى غزة
كانت تديره مصر .

ومما يجدر ذكره بالنسبة لى شخصيا خلال هذه المرحلة ، أننى
قائدا «للآلاى الخامس استطلاع» ، وكانت هذه الفرصة الأولى ل
قيادة عسكرية تشمل عربات مدرعة ودبابات سو فييتية ضمن ،
المدرعات حينئذ .

عندما أعلنت حالة الطوارئ بالقوات المسلحة بعد إعلان تأميم ،
قناة السويس ، صدرت لى الأوامر بالتحرك إلى العامرية (غ
الإسكندرية) لتكون قوتى ضمن القوات المصرية التى تمركزت فى
الإسكندرية للدفاع عن هذه المنطقة ضد أى قوات إنجليزية فرنسية
الإبرار البحرى هناك .

وبعد فترة قصيرة ، جاء تقرير القيادة العسكرية المصرية ، إن عـ
القوات المعادية الإنجليزية الفرنسية ستكون فى اتجاه بور سعيد ومنطق
السويس . لذلك صدرت لى الأوامر بالتحرك بالسكة الحديد إلى ،
شمال الإسماعيلية . وبعد وصول وحدتى إلى هناك صدرت لى الا
بالعبور على كوبرى الفردان والتوجه إلى الشط (شرق القناة) ومنـ

منطقة ممر متلا فى سيناء لدعم لواء مشاة مصرى كان يقاتل قوة إسرائيلية فى منطقة هذا المضيق. وقبل عبور وحدتى كوبرى الفردان صدرت لى أوامر القيادة الشرقية بالإسماعيلية بالتحرك إلى القاهرة برا لتكون وحدتى ضمن قوات احتياطى القيادة العامة، وهذا ما تم تنفيذه حتى انتهاء هذه الحرب.

وانتهى العدوان الثلاثى عندما اضطرت إنجلترا وفرنسا وإسرائيل، تحت ضغط كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى والمجتمع الدولى إلى الانسحاب من الأراضى المصرية.. فقد وقفت الولايات المتحدة بصلابة ضد هذا العدوان الذى تم تدبيره - تخطيطا وتنفيذا - سرا من وراء ظهرها، كما وقف الاتحاد السوفييتى موقفا حازما بإنذار قوى هدد فيه بعمل عسكرى حاسم ضد الدول الثلاث.

كان من الضرورى أن تتعمق القيادة السياسية والعسكرية فى مصر فى تحليل نتائج هذه الحرب، والخروج منها بالدروس المستفادة لتطوير قواتنا المسلحة بما يجعلها قادرة على تحقيق وتنفيذ مهامها العسكرية بنجاح لتأمين الدولة من الشرق ضد عدو قائم على حدودنا - إسرائيل - بعد أن أعلنت رسميا ضم سيناء لأراضيها - ويستتبع ذلك أن يكون لدينا الجهاز العسكرى القادر - تخطيطا وتنفيذا - على الدفاع عن سيناء وردع العدو، وعدم إخلاء سيناء - كما حدث خلال العدوان الثلاثى - تحت أى ظرف من الظروف. كما كان من الضرورى الارتفاع بمستوى القوات الجوية والدفاع الجوى إلى أعلى درجة من الكفاءة على ضوء خبرة العدوان، فيتم تأمين الدولة ضد هجمات العدو الجوية، ولا يتكرر تدميرها كما حدث فى هذه الحرب. وبصفة عامة كان يجب عمل دراسة عميقة لوضع

خبرة هذه الحرب موضع التطبيق فى كل مجالات العمل العسكرى، ولكن هذه الدراسة لم تتم بالعناية اللازمة والأهمية الواجبة. وكان ذلك بداية سلسلة من الأخطاء السياسية والعسكرية أدت فى النهاية إلى هزيمة يونيو التى تكرر فيها ما حدث فى العدوان الثلاثى من الانسحاب من سيناء إلى تدمير قواتنا الجوية على الأرض. وفى الجانب الآخر، أخذت إسرائيل من نتائج معركة العدوان الثلاثى ودروسها منطلقا لتطوير قواتها العسكرية جذريا مما أدى فى النهاية إلى نجاحها فى معركة يونيو ١٩٦٧.

حـــرب اليمـــن :

بانتهاء معركة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، اضطرت مصر وقواتها المسلحة للاشتراك فى حرب اليمن، فعندما قامت ثورة اليمن الشمالية عام ١٩٦٢ طلبت قيادة الثورة من مصر تقديم المعاونة لها لتثبيت أقدامها ضد المحاولات التى بذلت للقضاء عليها.

وسأترك حرب اليمن جانبا لأتكلم عن المعركة الثالثة بالنسبة لى وهى معركة يونيو ١٩٦٧.

معركة يونيو ١٩٦٧ :

ومنذ البداية أقول إن هذه المعركة كانت أسوأ فترة فى تاريخ حياتى كما أنها أسوأ فترة مرت بها مصر وقواتها المسلحة.. ماذا حدث فى هذه المعركة ؟

باختصار شديد بدأت الأحداث بمعلومات غير صحيحة وردت من سوريا والاتحاد السوفييتى عن حشود إسرائيلية على الجبهة السورية للاعتداء عليها . وبرغم التأكد من عدم صحة هذه المعلومات بمعرفة الفريق أول محمد فوزى رئيس الأركان شخصيا الذى زار سوريا للتحقق من صحة المعلومات ، إلا أن حشد قواتنا فى سيناء تم لسبب معلن هو لمعاونة سوريا فى حالة الاعتداء الإسرائيلى عليها .

وانتهزت القيادة السياسية فى مصر هذه الفرصة ، وقررت سحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء ، ثم إغلاق مضيق العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية ، وهو ما تعتبره إسرائيل سببا ومبررا لشن الحرب ضد مصر من وجهة نظرها .

وبذلك تحولت الأزمة من تهديد إسرائيلى لسوريا إلى أزمة جديدة تماما مع مصر هى «حرية الملاحة فى خليج العقبة» ولما كانت مصر متورطة فى حرب اليمن منذ خمسة أعوام دون حسمها ، ولما كانت إسرائيل تتمتع بالتفوق العسكرى على كل الدول العربية المجاورة ، ولما كانت القرارات السياسية التى اتخذتها مصر قد عبأت الرأى العام العالمى ضدها ، فقد أصبح الوقت مناسبا لاستدراج مصر إلى معركة أخرى مع إسرائيل التى استعدت لها خلال السنوات العشر السابقة .

أمام هذه الملابسات يمكن القول إن القيادة السياسية فى مصر قامت بمغامرة سياسية غير محسوبة سياسيا وعسكريا بإغلاق مضيق العقبة لحرمان إسرائيل من مكسبها الذى حصلت عليه من اشتراكها فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ . وفى الوقت نفسه إظهار قدرة مصر على تقديم المعاونة لسوريا ضد التهديد الإسرائيلى . كما أن نجاح هذه المغامرة

السياسية يعتبر ردا عمليا لإيقاف الحملة الإعلامية ضد مصر ومكانة الرئيس عبد الناصر فى الوطن العربى .

ولكن القيادة السياسية فى مصر كانت أمام مؤامرة لاستدراجها للحرب، خططت بمهارة لإيقاع الهزيمة بمصر وتحطيم زعامة الرئيس عبدالناصر فى الوطن العربى .

ولتنفيذ هذه المغامرة السياسية ومواجهة إسرائيل عسكريا ، لم تكن مصر والدول الأخرى على استعداد للحرب فى ذلك الوقت بينما كانت إسرائيل على أتم استعداد لخوضها .

وانتهت معركة يونيو ١٩٦٧ ، بعد أن فقدت مصر سيناء وقطاع غزة ، وفقدت الأردن الضفة الغربية ، وفقدت سوريا الجولان ، فكانت الكارثة للعرب .

وقد أسفرت هذه الهزيمة عن تغييرات جوهرية فى القيادتين السياسية والعسكرية ، حيث أعلن الرئيس عبد الناصر التنحى عن الحكم ، ثم عدل عن قراره تحت ضغط الرأى العام فى ذلك الوقت .

وبعد انتهاء المعركة وجدنا أنه مطلوب من القوات المسلحة أن تدافع عن منطقة قناة السويس ببقايا القوات المسلحة بعد معركة يونيو ١٩٦٧ .

وتم تعيين المشير أحمد إسماعيل الذى كان برتبة لواء فى ذلك الوقت قائدا لجبهة قناة السويس من بور سعيد شمالا إلى السويس جنوبا ، كما تم تعيينى رئيسا لأركان قوات هذه الجبهة ، هذا قبل إنشاء الجيشين الثانى والثالث ، وانقسمت الجبهة إلى جيشين بعد ذلك .

الانتقال إلى مرحلة الدفاع النشط :

وقد انتقلت المعارك مع إسرائيل بعد هذه التغييرات من مرحلة الصمود إلى مرحلة الدفاع، ثم إلى مرحلة الدفاع النشط، ثم إلى حرب الاستنزاف، وفى الحقيقة فإن هذه الفترة هى التى أعيد فيها بناء القوات المسلحة من الصفر، لأن هذه القوات بعد معركة ٦٧ كانت مفككة تماما، وبقاياها التى كانت موجودة كانت النواة لعملية إعادة بنائها من جديد خاصة فى منطقة القناة.

وقد استفدت أنا وجميع أفراد القوات المسلحة من عملية البناء الجديدة؛ لأنها كانت التطعيم الحقيقى لمعركة القوات المسلحة حيث كانت مليئة بالدروس المستفادة، وأهم ما فى هذه الفترة أن روح القتال بدأت تعود من جديد بعد أن فقدناها فى عام ١٩٦٧، وقد بدأت الروح المعنوية تزداد.. وبدأ الاهتمام بالتدريب الذى لم يكل وبالعمليات الجادة التى تم تجاهلها من قبل لسنوات طويلة.

وخلال معارك الاستنزاف صدر قرار بتعيينى نائبا لمدير المخابرات الحربية للاستطلاع، وكانت المهمة تشكيل وحدات للحصول على معلومات عن العدو، وإدارة المخابرات الحربية لها أساليبها العديدة فى الحصول على المعلومات، وقد توليت هذه العملية فكانت فرصة طيبة لدراسة العدو عن قرب بإمكاناته وقدراته العسكرية والسياسية والاقتصادية، ثم انتقلت منها إلى هيئة تدريب القوات المسلحة، وخلال رئاستى لهذه الهيئة عرفت كيف يتم تدريب القوات، إلى جانب التعرف

على القدرات الحقيقية لكل فرد فيها، واستغلالها بصورة لا حدود لها، وخلال عملى فى مهمة الاستطلاع وفى هيئة التدريب عرفت الكثير عن قدرات العدو، كما عرفت حقيقة قدرات قواتنا المسلحة.

مرحلة جديدة فى حياتى :

وفى الأسبوع الأول من يناير ١٩٧٢ صدر قرار بتعيينى رئيسا لهيئة العمليات، وبدأت بذلك مرحلة جديدة فى تاريخ حياتى، حيث كان وجودى فى هذا المنصب يعنى أننا مقدمون على حرب جديدة بإذن الله تعالى وقد كان. .

وكان لى شرف أن أتحمل مسئولية هيئة العمليات خلال فترة التخطيط، وبعد ذلك فترة تنفيذ العمليات فى معركة أكتوبر ١٩٧٣، وتطورت الأمور إلى ما هو أبعد من ذلك.

وهنا تجدر الإشارة إلى الموقف العام سنة ٧٢. . وغنى عن الذكر أننا كنا نلعق جراحنا فى مصر بعد معركة ٦٧ التى خسرناها نتيجة أخطاء عسكرية وسياسية كثيرة ترتب عليها احتلال سيناء وكذلك الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان السورية.

وتدرجت الأمور بعد ذلك بالقوات المسلحة عندما بدأت تشتبك مع العدو ثم اندلعت معارك الاستنزاف، وقد فرضت إسرائيل فى هذا الوقت ومنذ معركة ٦٧ الأمر الواقع على الأرض المحتلة بالقوة مستندة فى ذلك على التفوق العسكرى على الدول العربية الأمر الذى أعطاها الإحساس بأننا غير قادرين على استرداد الأرض بالقوة المسلحة إلى

جانب العمل من جانبها على إشعارنا بالعجز واليأس وبعدم جدوى العمل العسكرى ضد إسرائيل، وذلك بفضل الولايات المتحدة الأمريكية التى وقفت معها كحليف يؤيدها سياسيا ويدعمها عسكريا واقتصاديا .

وكان الانطباع الواضح لسياسة القوتين العظميين فى ذلك الوقت من عام ١٩٧٢ الذى كنت أعمل فيه رئيسا لهيئة العمليات أن الولايات المتحدة الأمريكية تعطى لإسرائيل الأسلحة والمعدات بالكميات والأنواع، التى تضمن لإسرائيل التفوق على الدول العربية جميعا . .

وكان الاتحاد السوفييتى يعطى الأسلحة لمصر وسوريا بالكميات والأنواع وفى التوقيتات التى تضمن لكل منهما الدفاع عن نفسه فقط مع مراعاة ألا يتفوق على الجانب الإسرائيلى أو يدخل فى سباق تسلح فى المنطقة .

فى ذلك الوقت كانت إسرائيل متفوقة عسكريا، بالإضافة إلى وجودها فى شبه جزيرة سيناء، إلى قناة السويس جنوبا وإلى نهر الأردن شرقا والى مرتفعات الجولان شمالا، وكلها موانع طبيعية جعلت إسرائيل فى الموقف العسكرى الإستراتيجى الأقوى .

وبالخبرة التى تكونت خلال القوات السابقة أدرك الإسرائيليون أنه لا تعاون عسكريا بين الدول العربية وبالتالى فهم متفوقون وقادرون على الانفراد بكل جبهة على حدة، وكان تقدير إسرائيل سليما، غير أنها كانت تعلم جيدا أن العدو الرئيسى لها هو القوات المسلحة المصرية، وهذا حقيقى، وكان تقديرها فى هذا المجال أن المانع المائى . . والتحصينات الموجودة على الضفة الشرقية لن تسمح للقوات المصرية

بالعبور وبالتالى فإن مصر غير قادرة على القيام بعملية هجومية على نطاق واسع، ولكن يمكنها القيام بعمليات إغارة. . وهكذا. . وإذا كانت مصر ستخاطر بهجوم بتشكيلات كبيرة فستكون القناة مقبرة لقواتها. . على حد تعبير الجنرال ألعازار رئيس الأركان الإسرائيلى فى ذلك الوقت، هذا هو الموقف العام فى سنة ٧٢. . وهذا يعنى أن الموقف ضدنا بكل المعايير والمقاييس.

وبالتقدير السليم للوضع الطبيعى كان عامل الوقت قد أصبح ضدنا جميعا مصر والعرب !! . لماذا ؟ لأنه ليس بيدنا عمل شىء أكبر مما هو موجود، بل بالعكس. . استنزاف لمواردنا البشرية، وذلك بالنظر إلى أننا فى حالة تعبئة منذ عام ١٩٦٧. فى الوقت الذى تقوم إسرائيل بتغيير معالم الأرض المحتلة، خاصة ببناء المستوطنات لتأهيل الرأى العام لقبول الأمر الواقع بجميع الأراضى المحتلة فى كل من مصر والأردن وسوريا.

طرد المستشارين السوفييت:

وكان السؤال الذى يطرح نفسه دائما. . متى سنحارب ؟

ولم يكن هناك من يعرف الإجابة عليه. . بينما القوات المسلحة كانت تعرف أن الهدف هو تحرير الأرض.

لكن متى وكيف ؟. . لم يكن أحد يعرف. . حتى جاء الرئيس الراحل أنور السادات واتخذ فى عام ١٩٧٢ سلسلة من الإجراءات ليسرع بالخطوات فى اتجاه الحرب.

الخطوة الأولى : كانت إنهاء مهمة المستشارين السوفييت فى يوليو ١٩٧٢ ، وهذه الخطوة كانت مفاجأة وخسارة للاتحاد السوفييتى، وفى الوقت نفسه كانت مكسبا كبيرا للولايات المتحدة الأمريكية .

والغريب أنه لم يكن هناك رد فعل لأمريكا بالنسبة لهذه الخطوة .

وسألوا كيسنجر وزير الخارجية فى ذلك الوقت عن فحوى هذه الخطوة . . فقال ـ ومازلت أذكر تماما إجابته ـ قال : إن السياسة لا تعرف الأخلاقيات . . وليس من شأننا أن ندفع ثمنا لشىء أعطى إلينا مجانا . . ! !

وكنا نطلب من السوفييت أن نتعادل مع إسرائيل فى الأسلحة فقط ، ولكنهم رفضوا ، الأمر الذى دعا مصر إلى الإقدام على هذه الخطوة ضدهم . .

الخطوة الثانية : واتخذتها القيادة السياسية فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ . . حينما دعا الرئيس السادات لعقد المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى مكتبه بالجيزة ، وكان الوقت ليلا ، واستمرت الجلسة حتى منتصف الليل شرح فيها الموقف السياسى برمته . . وقال ليس هناك حل سلمى . . والحل السلمى يعنى الاستسلام ، ولا بد من إثبات أننا نقاتل وندافع عن أنفسنا ، وسوف تتحسن حالتنا عندما نحارب وإذا لم نحارب ستتآكل القضية العربية فى عام ١٩٧٣ .

وقال السادات . . ليست هناك دولة ستعطينا الأسلحة التى سنحتاجها ، ولا بد أن نحارب بما لدينا من أسلحة ، وبالتخطيط السليم مع الرجال سيتم تعويض النقص الموجود وذلك بالمهارة فى استخدام الأسلحة التى فى أيدينا .

الخطوة الثالثة : . . جاءت مباشرة بعد يوم ٢٤ أكتوبر عام ١٩٧٢ وكنت مسافرا إلى سوريا لأنى كنت مسئولا عن الاتصال بين الجبهتين المصرية والسورية . . سافرت إلى دمشق يوم ٢٥ أكتوبر وقرأت فى الصحف يوم ٢٦ أنه تم تعيين اللواء أحمد إسماعيل وزيرا للحربية وقائدا للقوات المسلحة ، فقررت العودة دون إكمال المأمورية .

وجاء الفريق أول إسماعيل ليعكس رأى وفكر الرئيس السادات تماما . . كان كل كلامه فى الوحدات ، والسياسة التى اتبعها مستمدا من آراء ووجهات نظر وأفكار الرئيس السادات . . وكلنا كنا ملتزمين بها . . وكان صادقا فى هذا تماما . .

ويتلخص ذلك فى أننا سنحارب بالأسلحة الموجودة معنا . . ولن ننتظر شيئا من السوفييت ، وسوف نعطى المهام للقوات المسلحة فى حدود قدراتها وطاقتها . . ولا بد أن نحارب ، وتم وضع الخطة على هذا الأساس .

الخطوة الرابعة : . . التعاون العسكرى بين مصر وسوريا . . وقد تم تعيينى رئيسا لمجموعة الاتصال مع الجبهة السورية ، وكنت مكلفا بها أينما وجدت وفى أى منصب أكون فيه . . وكانت معى مجموعة من الضباط . . وهذه المهمة كانت سرية جدا ، ولا حديث عنها داخل القوات المسلحة أو خارجها .

وكنت أذهب إلى سوريا مرة أو اثنتين فى الشهر . . وقد تجولت فيها وزرت جميع وحداتها من برية وجوية وبحرية وكانت هناك زيارات متبادلة بين الجانبين من أجل أن تتولد الثقة بين الطرفين . . وتولدت فعلا واقتنع الطرفان المصرى والسورى بأنه لابد من الحرب معا جنبا إلى جنب

لكى يتحقق النجاح . . وأود أن أقول فى هذا الموضوع بالذات . . إنه لو لم يتفق الرئيسان السادات والأسد على هذا التعاون ما كان يمكن إطلاقا أن يتحقق مثل هذا الهدف .

لأن التعاون العسكرى ينبع من التعاون السياسى .

بعد ذلك وضعت الخطة دون الدخول فى أى تفاصيل . . والقوات المسلحة عرفت ما هو هدفها . . ولكن متى نحارب؟

فى هذه الأثناء عملت هيئة عمليات القوات المسلحة دراسة علمية طويلة حتى نصل إلى أحسن توقيت للقيام بالعملية الهجومية خلال عام ١٩٧٣ .

درسنا قناة السويس من ناحية المد والجزر وسرعة التيار واتجاهه وحالة الأرصاد الجوية على مدار عام ١٩٧٣ بالكامل من أجل صلاحيتها لاستخدام القوات الجوية . . كما تم دراسة البحرين الأحمر والمتوسط من أجل استخدام القوات البحرية ، وانتقلنا لعدة موضوعات أهمها : اختيار ليلة طويلة يكون الجزء الأول منها قمريا (أى مضيئا) . . والجزء الثانى مظلما ـ كما تم دراسة أحوال الجانب الإسرائيلى . . ومتى يكون غير مستعد للحرب . . فدرسنا عطلاته الدينية فوجدنا أن لديه ٨ عطلات فى السنة غير يوم السبت الذى هو إجازة أسبوعية كيوم الجمعة عندنا . . ومن بين عطلات الثمانى لدى اليهود ثلاث منها مركزة فى شهر أكتوبر ، وكل عيد عندهم له مراسم مختلفة عن التالى ، والعيد الأول عيد كيبور أو عيد الغفران ، والثانى عيد المظلات والثالث عيد التوراة ، ودرسنا المراسم فى كل عيد وكان يهمنا أن نعرف العيد الأول الذى لا تجرى فيه عملية التعبئة بسرعة ، أو بمعنى أصح تتعطل فيه التعبئة أكثر .

ووجدنا أن اليوم الوحيد الذى تتوقف فيه الإذاعة والتليفزيون هو يوم

«كيبور» وكان ذلك سببا من بين الأسباب التى جعلتنا نختار الهجوم فى هذا اليوم، كما كان هناك سبب آخر وهو أن انتخابات إسرائيل كانت يوم ٢٨ أكتوبر . . وفى الانتخابات يشارك الجيش بفعالية، فالجيش هو الشعب والشعب هو الجيش، وبالتالى فإن أكتوبر هو المناسب لنا لكى نبدأ العمليات لأن الناس عندهم مشغولة بالانتخابات وبالأحزاب الكثيرة، وهذا جعلنا نصرّ على عدم التأخير عن أكتوبر، ولأن الجليد ينزل على الجبهة السورية اعتبارا من نوفمبر، فإذا مر أكتوبر فهذا يعنى أننا لن نحارب خلال عام ١٩٧٣ .

وقد تضمنت الوثيقة التى أعددناها للحرب ثلاثة توقيتات خلال ثلاثة أشهر، وكان أحسن توقيت للقوات المصرية يمكن أن تحارب فيه هو خلال هذه التوقيتات، والتوقيت الأول فى شهر مايو، والثانى فى أغسطس، والثالث خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر . وقد اخترنا أنسب يوم فى كل شهر لشن الحرب، هذه الوثيقة الكبيرة خرجنا منها بالتوقيتات وأصبح وقت الحرب معدا . . وقد أرسلنا الوثيقة للرئيس السادات فى برج العرب .

انبهار السادات بخطة الحرب :

فى إبريل ١٩٧٣ . . أخذها القائد العام للقوات المسلحة أحمد إسماعيل فى ذلك الوقت وناقشه فيها . . وقد انبهر بها الرئيس وكانت محل اعتزاز لنا جميعا خاصة أنا . . وبناء عليها أسماها الكشكول لأنه وجدها كبيرة ومكتوبة بخط اليد وبالحبر ومن صورة واحدة . . فكان يردد دائما . . الكشكول . . أو كشكول الجمسى .

وأنا أغتنم هذه الفرصة لأذكر الذين يعود إليهم الفضل فى هذا، وهم ضباط هيئة عمليات القوات المسلحة مع تخصصات أخرى كثيرة . . ولذلك أقول عن الكشكول إنه كشكول هيئة العمليات ويكفينى فخرا أنى كنت رئيس هذه الهيئة فى ذلك الوقت .

وفى أغسطس ١٩٧٣ تم الاتفاق بين المجلس الأعلى للقوات المصرية والمجلس الأعلى للقوات السورية على يوم ٦ أكتوبر كيوم لبدء العمليات، وقد زار الرئيس السادات السعودية ثم قطر ثم سوريا، وقد شملت هذه الجولة السعودية وقطر حتى لا يلفت النظر إلى التعاون مع سوريا، واتفق مع الرئيس الأسد على أن تكون الحرب يوم ٦ أكتوبر .

وفى الساعة ١٤٠٥ أى الثانية وخمس دقائق ظهرا يوم السبت ٦ أكتوبر الموافق ١٠ رمضان حدث الانفجار على الجبهتين المصرية والسورية فى توقيت واحد بالهجوم على القوات الإسرائيلية فى سيناء والجولان بمبادأة منا لتنفيذ العملية الهجومية التى أطلق عليها «بدر» .

(تصفيق حاد)

وما أن انتهى المشير الجمسى من محاضرته عن معركة السادس من أكتوبر ١٩٧٣، حتى فتح الباب أمام عدد من قادة المعركة للحديث عن دورهم ودور رجالهم فيها . . ومن هؤلاء اللواء طيار محمد نبيه المسيرى[1] والفريق أول يوسف صبرى أبو طالب[2] والفريق يوسف

(١) شغل منصب رئيس أركان حرب القوات الجوية خلال معركة أكتوبر ١٩٧٣ .
(٢) وزير الحربية الأسبق ورئيس أركان المدفعية أثناء معركة أكتوبر .

عفيفى قائد الفرقة ١٩ مشاة أثناء المعركة، والفريق حسن أبو سعدة قائد الفرقة الثانية مشاة أثناء المعركة، واللواء نبيل شكرى قائد الصاعقة أثناء المعركة، واللواء مهندس جمال محمد على مدير سلاح المهندسين والفريق عبدالمنعم واصل[1] واللواء مهندس الحسينى عبد السلام نائب مدير سلاح المهندسين. . وغيرهم من رجال السياسة والاعلام. وقبل أن يتحدث هؤلاء القادة وقف الموسيقار الفنان عمر خيرت ليتحدث عن تجربة موسيقية عاشها، فقال:

الفنان عمر خيرت:

إنى أساهم بعمل موسيقى أرجو أن يصل إلى مستوى الحديث، وكل ما أستطيع قوله أنى سأسمعكم هذا العمل، وهو بعنوان «بانوراما العبور» وهو جزآن: الأول خاص بهذا الصالون، والثانى تسجيل لبانوراما العبور. ولهذا العمل الموسيقى قصة . . .

فبعد معركة ١٩٦٧ سافرت إلى إنجلترا، وخلال مرورى بأحد الشوارع سمعت شريطا موسيقيا فى محل أسطوانات، وبعد شرائى له اكتشفت أن مؤلفه يهودى وهو عن معركة ١٩٦٧ أى انتصار إسرائيل فى هذه الحرب. . وحينئذ حدثتنى نفسى عن ضرورة أن أرد فى يوم من الأيام بعمل موسيقى مصرى، وهو هذا الذى أسمعكم إياه.

(مشاهد ولقطات سينمائية مصورة عن حرب أكتوبر. مع تسجيل موسيقى بانوراما العبور).

---

(١) شغل منصب قائد الجيش الثالث الميدانى أثناء معركة اكتوبر ١٩٧٣.

بعدها يستأنف المشير الجمسى الحديث عن معركة ١٩٧٣ وبعض الأيام التالية ليوم ٦ أكتوبر، ويقول إن معنا الآن بعض الزملاء الضيوف وهم أعزاء وقادة مرموقون وسيتكلمون عن أكتوبر أكثر منى، وكل واحد سيتولى الحديث عن دوره فى هذه الحرب، وتتذكرون جيدا أن الحرب بدأت بضربة جوية ونيران المدفعية تمهيدا لعبور قوات المشاة والمهندسين الذين كان لهم دور كبير فى هذه المفاجأة المذهلة.

ونبدأ بالطيران.. سيادة اللواء «المسيرى» ليتحدث عن الضربة الجوية يوم ٦ أكتوبر.

الضربة الجوية:

اللواء المسيرى: الحقيقة أن الضربة الجوية لم تكن أكثر من الذى نفعله كل يوم فى القوات الجوية لسنين متتالية من ساعة النكبة[1] حتى بداية المعركة.. وكان كل همنا التدريب المتواصل.

والضربة الجوية ما هى إلا تركيز أكبر أو شامل لجميع القوات، حيث قامت بعملها نفسه فى كل يوم فى التبة التكتيكية[2]، وللعلم فإن بعض الحقائق لم تكن معروفه بسبب فرض السرية المطلقة للعملية، لدرجة أنه فى بعض المطارات أقلعت الطائرات وقامت بالمهمة يوم ٦ أكتوبر ورجعت والميكانيكية لا يعلمون أن الحرب قد بدأت، وبعد نزول الطيارين قابلهم الفنيون بصورة عادية جدا، وقد أخبرهم الطيارون أنهم بدلا من إقلاعهم إلى التبة توجهوا بنيرانهم إلى العدو، وكانت السرية أهم العناصر التى كانت ضمن خطة الضربة المركزة.

---

(١) يونية ١٩٦٧.　　(٢) ميدان التدريب.

الاستعداد لضربة إجهاض :

نقطة أخرى كانت مهمة جدا وهى الخوف من قيام العدو بضربة إجهاض وكنا فى ذلك الوقت قد أعدنا تمركز بعض القوات من مكان إلى آخر . . كإجراء وقائى لمواجهة هذه الضربة . .

وقد اضطررنا فى بعض الحالات أن نضع كثيرا من الطائرات فى بعض المطارات بلا دشم وفى العراء . . وأنا شخصيا حضرت الضربة الجوية المركزة فى أحد المطارات وليس فى غرفة العمليات . . وقمنا بناء على تعليمات قائد القوات الجوية بزيارة مطارين رئيسيين فى ذلك اليوم وجلست مع الطيارين، وكان برفقتى سكرتيرى الخاص الذى لم يعرف أن المعركة بدأت إلا بعد إقلاع الطائرات . .

وهناك نقطة غريبة لم تظهر فى الضربة المركزة وهى اشتراك القاذفات بإطلاق صواريخها من غرب القناة، والكل كان يعتقد أن جميع الطائرات عبرت القناة وهاجمت مواقع العدو، والواقع أن القاذفات قامت بدور مهم جدا وهو إطلاق الصواريخ من غرب القناة . . فى الوقت الذى عبرت فيه الطائرات القناة، حيث وجهت صواريخها إلى مراكز القيادة والسيطرة لتدمير رادارات العدو، وكانت مفاجأة للعدو مما أفقده القدرة فعلا على توجيه مقاتلاته .

جميع التصرفات كانت عادية :

ومما يذكر أن جميع تصرفاتنا كانت عادية كأى يوم من الأيام السابقة حتى لا نجذب انتباه العدو، وفى الوقت نفسه كانت لنا بعض الطلعات

والتحركات الهيكلية بغرض إظهار الموقف كما كان، وفعلا تمت الضربة المركزة وانتهت وأنا ما زلت وقتها فى مطار قريب من القاهرة، وجميع طائراتنا فى هذا المطار بالذات عادت إلى قواعدها سالمة، وعلمت فيما بعد أن خسائرنا كانت طفيفة بصورة لم نكن نتوقعها على عكس ما كان يتوقع الخبراء الروس من قبل بأنه إذا قمنا بالضربة المركزة سوف نخسر على الأقل ٢٥٪ من قواتنا الحقيقية، وأعتقد أن الخسائر كانت حوالى ٣٪ من القوة الضاربة .

وكان المفروض تكرار الضربة المركزة قبل الغروب، ونظرا للنجاح الساحق الذى حققته الضربة الأولى فقد ألغينا الضربة التالية واتخذنا الموقف الدفاعى لمنع العدو من مهاجمة مطاراتنا أو أية أهداف أخرى .

التمهيد النيرانى بالمدفعية :

المشير الجمسى : . . بعد ذلك سنسمع سيادة الوزير الفريق أول يوسف صبرى أبو طالب وهو رجل مدفعية عظيم ومشهود له بالكفاءة . . سيتكلم عن التمهيد النيرانى للمدفعية يوم ٦ أكتوبر .

الفريق أول يوسف صبرى أبو طالب :

أعتقد أن كل تفاصيل التمهيد النيرانى معروفة لدى الأخوة جميعا، والحقيقة أنه كان أكبر تمهيد نيرانى حدث فى الشرق الأوسط مقارنة بمعركة العلمين سواء من حيث عدد المدافع أو الطلقات، بغض النظر عن الفارق بين ظروف المعركتين، وقد اشترك فى هذا التمهيد حوالى ٤ آلاف

مدفع بغرض التمهيد لعبور القوات حتى تستطيع القيام بالمهام الموكولة إليها شرقى القناة، وقد حقق أهدافه تماما على طول الجبهة بالكامل سواء فى مواجهة الجيش الثانى الميدانى أو الثالث باستخدام كل أنواع الأسلحة الخفيفة من أول الهاونات الصغيرة إلى المدفعية الثقيلة إلى الصواريخ التكتيكية إلى قصف العمق التكتيكى فى ممرات متلا ومطار المليز، وهذا مهّد لاستخدام الصواريخ أرض - أرض، وقادة الفرق فى هذا الوقت يستطيعون الحديث عن نتائج هذا التمهيد وما حققه بالنسبة لتأمين عبور القوات .

المشير الجمسى : أقدم بعد ذلك الفريق يوسف عفيفى قائد الفرقة ١٩ مشاة بالجيش الثالث الميدانى .

الفريق يوسف عفيفى : سوف نتحدث بلغة أدبية بدلا من اللغة العسكرية الصعبة : (ضحك)

وقد كتب هذه القصيدة أحد أبنائى فى المعركة أثناء الحصار وكان ضابط مدفعية . . وهذه القصيدة هى :

الله أكبر كانت تلك صيحتنا

مثل البراكين والإصرار يضربها

سارت قواربنا فى الماء عابرة

مثل التماسيح لا شىء يثنيها

تصلى الأعادى نيرانا مكثفة

من البنادق والرشاش يرديها

رست قـــــواربنا فى الشــــرق

سالمة من الإصابة باسم الله مرسيها

وانساب منها جنود النصر فى فرح

إلى الســـواتر بالهـــلاك بانيـــهـــا

بكل عـزم إلى الأعـلام ترفـعــهـــا

فـوق الصـوارى إذ لا شىء يثنيـهـا

بالشط حـزن ومـا زالـت مـعــالمه

تحكى الوقـائع للتـاريخ يرويهـــا

مـصـاطب زودت بالـدرع تمنعــهـــا

والجند داخلهـــا من ذا يدانيـــهـــا

والضرب صوّب للأبراج يهدمهـــا

والدرع ينسف من دانات رامـيــهـا

جنودنا أسـرعـوا فى لهـفة عـجـــب

إلى لقـــاء عـدو غـــادر فــيــهـــا

وأيقن البــغىّ أن هزيمة لحــقـــت

بجنده فـعـدى ينجـو بباقـيـهـــا

عشرون أسرى وبين الجمع قائدهم

استسلموا بعد أن ذاقوا اللظى فيها

زردا شـهـيـدا وحـيـا عند بارئـه

عملاق ملحمة كالدرس نلقيها

. . دى معركة متلا ، وفى معارك كثيرة مثل الجباسات ولسان بورتوفيق وجبل المر . . . المهم بعد المعارك دى كلها بيقول إيه . . .

ونحـمـد الله أن النصر حـالفنـا

ومصرنا اليوم قد ضاءت لياليها

تبنى وتعلى قلاع السلم شامخة

وتستحث الخطى من عزم أهليها

وبارك الله فى كل الأولى حملوا

مشاعل النور للأجيال تهديها

ويرحم الله من باتت نفوسهم

فى جنة الخلد ترضى عند باريها

واليوم هيا نغنى لحن مصر معا

نثنى عليها نمجدها ونطريها

ندعو لها بخلود المجد ناهضة

الله أكبر حافظها وراعيها

المشير الجمسى : يقدم شكره الجزيل على هذه القصيدة الرائعة ، ويقدم

بعد ذلك الفريق حسن أبو سعدة قائد الفرقة الثانية مشاة بالجيش الثانى الميدانى للحديث عن عبور الفرقة للقناة يوم ٦ أكتوبر .

الفريق حسن أبو سعدة : الحرب بالنسبة لنا ليست ذكريات ، بل هى شريط حى يعيش بداخلنا بكل تفاصيله ، وخلال معركة ١٩٧٣ ، لم يكن أى منا يتصور أننا يمكن أن نجتمع هنا فى الصالون الثقافى لدار الأوبرا كإخوان ونتذكر معا هذه الأيام العظيمة .

وبالنسبة للفرقة الثانية المشاة ، فقد كان قطاعها يشمل مدينة الإسماعيلية ، وهى واحدة من ثلاث عواصم للمحافظات الموجودة بمنطقة القناة وهذه المدينة تتميز بكثافة سكانية كبيرة . . فكثير من أهلها ظلوا يعيشون بها ، وللحقيقة والتاريخ فقد كانوا يتعاونون معنا .

وفى الساعة ١٢ ظهر يوم ٦ أكتوبر كان من المخطط أن تعمل مراكز القيادة بمقراتها المعدة مسبقا من أجل المعركة . .

وهنا أود أن أشير إلى أن إسرائيل حصلت من الولايات المتحدة على كتاب عنوانه («العدو» The Enemy) والكتاب يشرح تفصيلا الإجراءات التى تقوم بها القوات السوفييتية ، وبالتالى القوات المصرية ، باعتبار أن قواتنا كانت تسير وتنفذ وتنهج نهجا مماثلا للنهج السوفييتى فى كل شىء بما فى ذلك الملابس . . أى لم يكن اقتداء الجيش المصرى بالجيش السوفييتى فى العقيدة العسكرية فقط وأساليب القتال بل حتى فى الشكليات ، وقد خططنا لخداع القوات الإسرائيلية فى منطقة المواجهة باتباع كل ما تضمنه الكتاب . . ونفذنا فعلا كل ما جاء فى الكتاب ولكن

بجنود تم تخصيصهم لهذه المهمة فى حين كانت الفرقة تواصل استعدادها لبدء القتال.

وهكذا مضى الأمر.. الجنود المخصصون للخداع أدوا دورهم وركبوا سيارات جيب عليها هوائيات لاسلكى ودخلوا مركز قيادة مجهز.. وكان الإسرائيليون يتابعون قواتنا وهى تحتل هذا المركز أثناء مشاريع التدريب والمناورات.

أما مركز القيادة الحقيقى فقد توجه إليه القادة فى ثلاثة لوارى قديمة تحركت على طريق المعاهدة وعند منطقة مليئة بالأشجار توقفت ونزل منها ركابها وساروا على الأقدام أكثر من ١٫٥ كيلو متر ليحتلوا مركز قيادة سرى لا يعلم عنه العدو شيئا، وكان ذلك هو مركز القيادة المتقدم الذى ستدار منه العمليات.. كانت السرية هى القاعدة الأساسية للعمل.

تمهيد المدفعية العظيم:

فى الساعة الثانية وخمس دقائق أو حتى قبلها بدأ التمهيد النيرانى العظيم، كانت المدفعية تقصف عدوا موجودا أمامنا وتلحق به خسائرا نراها بأعيننا.

ثم بدأت موجات اقتحام القناة.. الصاعقة عبرت القناة أولا ومن بعدها مجموعات المشاة.. ولكى نتصور ما حدث، فإن علينا أن نعلم أن الفرقة المشاة تضم ٢٥ ألف مقاتل.. وهذا الرقم يمثل ضعف رقم أفراد أى فرقة مشاة فى العالم ونتيجة دقة التنظيم والسيطرة وحسن التدريب والتخطيط والإعداد تم عبور القناة بشكل انسيابى.. وكان لرجال سلاح

المهندسين دور كبير وعظيم. . وقد أثبتوا كفاءتهم العالية. . وبهذه الكفاءة كانوا أساس ما تحقق من نجاح لخطة عبور القناة.

ولمراقبة ومتابعة ما يجرى وضعت أفراد للمراقبة على امتداد منطقة عمل الفرقة وهؤلاء الأفراد كانوا من رجال الشرطة العسكرية ولكن بدون علامات. وفجأة تلقيت بلاغا منهم عن وجود مجموعة من الأهالى. . رجال وسيدات. . بالقرب من منطقة المعدية نمرة ٦.

كان أهالى الإسماعيلية قد سمعوا قصف المدفعية فتوجهوا عدوا إلى أقرب نقطة للقناة لاكتشاف ما يجرى.

وعند رؤيتهم لموجات العبور بدأ الرجال يهتفون ويصفقون وزغردت النساء، كانوا يقفون بدون حماية، وهناك احتمال التعرض لنيران العدو، وبذل الرجال محاولات لتحذيرهم من المخاطر التى يتعرضون لها، إلا أن أحداً منهم لم يستجب. وكان منطقهم إذا كنتم تواجهون الخطر وتقبلون التعرض للاستشهاد، فلماذا تبخلون علينا أن نواجه معكم بعض أو أقل مما تواجهونه.

وفى الساعة الرابعة إلا عشر دقائق عبرت المانع المائى، وبعد أن قطعت مسافة شرق القناة بسيارة جيب فوجئت بجندى جريح يحمله زميلان له على نقالة وهو يهتف «تحيا مصر» وكان ذلك هو هتاف الجميع بعد ترديدهم نداء «الله أكبر» أثناء الاقتحام.

وكم نندم على أن طابع السرية والحذر ضيع علينا جميعا تسجيل هذه اللحظات الرائعة بالصوت والصورة.

وقد اعتذر المشير الجمسى عن عدم تسجيل كل هذه الأعمال خوفا من

انتشار أخبار العبور لأن موضوع السرية كان يتعارض مع جلب المصورين والمخرجين[1] .

المهندسون :

اللواء مهندس / جمال محمد على

وتحدث المشير الجمسى عن دور المهندسين الرائع فى هذا المجال فقال بأنه بدون هذا السلاح ما كان يمكن نجاح اقتحام قناة السويس . .

وفى هذا المجال تحدث اللواء مهندس جمال محمد على مدير سلاح المهندسين فقال :

نحن نشكر الذين أشادوا بدور المهندسين الذى بدأ من يونيو ١٩٦٧ إلى أكتوبر العظيم وسوف يستمر إلى ما بعد أكتوبر .

كانت مهمة المهندسين الأساسية ، إعداد الدولة للحرب . . وعلى امتداد الفترة من يونيو ١٩٦٧ حتى أكتوبر ١٩٧٣ ، استمر العمل والعرق . . بعد أن أخذنا الدرس والعبرة من الضربة الجوية الإسرائيلية صباح الخامس من يونيو ، وكان ضروريا على ضوء هذا الدرس الشديد القسوة ، حماية طائرات السلاح الجوى ببناء ملاجئ ودشم لها . . ولأننى شاهدت مثل هذه الملاجئ بالاتحاد السوفييتى ، فقد طلبت منهم المساعدة ، فرفضوا وأنكروا وجود مثل هذه الملاجئ لديهم . . فتحملنا

(١) ناقشت القيادة العامة هذه القضية وقررت ألا يشهد المشهد الافتتاحى أى إعلامى حتى ولو كانوا من رجال الشئون المعنوية للقوات المسلحة .

هذه المسئولية بعد أن أخذنا درجة الوقاية المطلوب تحقيقها فى هذه الملاجئ لحماية الطائرات التى ستكون بداخلها من قيادة القوات الجوية ومن المسئولين بالمخابرات الحربية .

وقد أنشأنا عددا كبيرا جدا من هذه الملاجئ الحقيقية والخداعية بتوجيه من الفريق عبد المنعم رياض[1] .

ونتيجة لذلك لم يشعر أحد بحقيقة التجميع الرئيسى للقوات الجوية فى أكتوبر ١٩٧٣ .

كما تحمل سلاح المهندسين مسئولية بناء حائط الصواريخ المضادة للطائرات . وخلال ٤٠ يوما صرفنا خلالها ٤٠ مليون جنيه أى بمعدل مليون جنيه يوميا وهذا رقم كبير جدا بالنسبة للإنشاءات الخرسانية وتمكنا من إنشاء ٢٠٠ موقع لحماية الجبهة وجميع الأهداف الحيوية المصرية .

هذه الملحمة التى أشار إليها المشير الجمسى أشركنا فيها شركات مقاولات من القطاع العام .

وكان هذا العمل الجبار يتم تحت نيران العدو ، الذى حاول بكل قواه منعنا من إتمامه بأى شكل وأى ثمن .

وكنت ومعى اللواء عبد الستار واللواء الحسينى نعمل كفريق لإنجاز المهام المطلوبة من سلاح المهندسين .

وتبقى قضية الكبارى ، كان المطلوب إنجاز الكثير ، ويمكن اللواء

---

(١) رئيس أركان حرب القوات المسلحة منذ نهاية معركة يونيه ١٩٦٧ وحتى استشهاده، وهو يزور موقع عسكرى متقدم بالقرب من القناة فى مارس ١٩٦٩م .

الحسينى هو الأقدر على الحديث فى هذا الشأن، لأنه هو الذى قام بجهد كبير جدا فى إنشاء الكبارى العسكرية .

اللواء الحسينى: بدأ سلاح المهندسين عام ١٩٦٧ من الصفر أو من تحت الصفر حين كنا لا نملك سوى عدد محدود من القوارب لا يتجاوز أصابع اليدين، وبالنسبة للكبارى كان لدينا كوبريان على القناة وقد نسفناهما لكيلا يستخدمهما العدو فى عملياته، وكانت لدينا كتيبة واحدة وكتيبة أخرى تحت التشكيل ومهمات الاثنتين كانت من مهمات الحرب العالمية الثانية .

وقد وصل عدد القوارب التى استخدمت ووزعت على الفرق ما يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ قارب وكان عندنا ٢٢ كتيبة كبارى مشتركة فى عمليات ٦ أكتوبر .

وعن الساتر الترابى . . فقد أخذت عملية التغلب عليه مجهودا جبارا لأنه كان بطول القناة، كما نجحت الكبارى فى عملية العبور بدرجة منقطعة النظير، وأول كوبرى كان فى قطاع الفرقة الثانية عند سيادة الفريق حسن أبو سعدة الذى ذهل عندما لاحظ أن الكوبرى تم تركيبه قبل توقيته بساعتين .

كما تم عمل حوالى ٤٠ معدية ثقيلة فى هذا اليوم إلى جانب المعدات البرمائية سواء كانت معدات خفيفة أو متوسطة أو ثقيلة، وقد عملت ٦٨ كتيبة مهندسين فى وقت واحد .

أما قصة التغلب على هذا الساتر فقد تدربنا على نموذج بالحجم الطبيعى لقناة السويس، وبطلمبات المياه التوربينية تغلبنا على الساتر

الترابى وتمكنا من فتح الثغرات المطلوبة مما يعد معجزة منقطعة النظير .

المشير الجمسي : فى الوقت نفسه الذى كان يتم فيه عبور المشاة وأثناء بناء الكبارى كانت وحدات الصاعقة لها دور خاص سوف يتكلم عنه اللواء نبيل شكرى قائد قوات الصاعقة أثناء حرب أكتوبر .

اللواء نبيل شكرى : قوات الصاعقة هى قوات الكوماندوز وهكذا يطلق عليها فى بعض الدول ، وهى التى تعمل فى عمق العدو ، وأعمالها القتالية تكون فى خدمة التشكيلات المقاتلة ، كما أنها هى التى تعمل فى إطار هدف إما تعبوى أو إستراتيجى ، وسوف أعود بالذاكرة إلى ١٩٦٧ وسيادتكم أشرتم إلى مدى الانهيار الكامل الذى عم القوات المسلحة فى هذا التوقيت حينما دفع العدو قوات من القنطرة فى اتجاه بورفؤاد للاستيلاء عليها . . قامت قوات من الصاعقة بالتصدى لها فى قتال شرس ما بين الكاب ورأس التينة[١] . . الأمر الذى يعد بمثابة صحوة تؤكد أن قوات الصاعقة لا تحمل شعار التضحية والفداء فقط بل تضعه موضع التنفيذ .

بعد ذلك جاءت حرب الاستنزاف التى اشتركت فيها جميع تشكيلات وأفرع رئيسية للقوات المسلحة ، وكان من بين الأهداف رفع الروح المعنوية للقوات أثناء عملية إعادة البناء ، ولذلك عندما بدأت الجيوش فى العبور كانت وحدات الصاعقة فى مقدمة القوات العابرة ،

---

(١) دارت معركة رأس العش فى أول يوليو ١٩٦٧ ، وتمكنت القوات المصرية من منع العدو من استكمال احتلال سيناء ، وكانت منطقة عنق الوزة التى تضم الكاب والتينه ورأس العش بالإضافة إلى مدينة بور فؤاد مازالت فى أيدى القوات المصرية، وأسفرت المعركة عن خسائر كبيرة بقوات العدو .

وقاتلت بشراسة ضد الاحتياط التكتيكى على مسافة تراوحت ما بين ٣٠ و ٥٠ كيلومترا فى العمق .

وكانت الكتائب تقاتل بشراسة فى أحلك الظروف لدرجة أن البعض منها ظل يقاتل ١٦ يوما من بدء القتال فى جنوب سيناء وفى غيرها من النقط الحصينة للعدو .

وفى هذه الأثناء التقط المشير الجمسى طرف الحديث حيث عبر عن إعجابه بدور الدفاع الجوى خلف القوات غرب القناة وجزء من الضفة الشرقية فى سيناء ، وأشار إلى أن الطيران الإسرائيلى بدأ ينشط بعد نصف ساعة من بدء القتال ، وقد نجح الدفاع الجوى والمقاتلات المصرية فى عرقلة عمل الطيران الإسرائيلى ، وقد التقطت إشارة مفتوحة من قائد السلاح الجوى الإسرائيلى يحذر فيها طائراته من الاقتراب لمسافة ١٥ كيلو مترا من منطقة القناة بعد أن سقط له ٢٥ طائرة ، وبالتالى أصبح الأمر مؤمنا بالنسبة لعبور القوات .

عمليات البحرية..وغلق باب المندب :

وقد أعطى المشير الجمسى الكلمة بعد ذلك إلى اللواء بحرى محمد رأفت من هيئة عمليات القوات البحرية للحديث عن غلق باب المندب بالبحر الأحمر .

اللواء بحرى محمد رأفت : . . سوف أكتفى بموجز للعمليات التى تمت فى البحر الأحمر . . على أساس أنها كانت عملية خاصة للتعرض

لخطوط النقل البحرى الإسرائيلى . . لحرمان إسرائيل من البترول سواء من إيران عن طريق باب المندب أو من سيناء عن طريق خليج السويس .

كانت الخطة فى هذه المرحلة مقسمة إلى ثلاث مجموعات . . الأولى حصار باب المندب بالمدمرات ، والمجموعة الثانية ، كانت من الغواصات وظيفتها التعرض لأى سفن يمكنها الخروج من الحصار المضروب على باب المندب لأى سبب . والمجموعة الثالثة : كاسحتان وسربان من لنشات الطوربيد لوضع ألغام فى خليج السويس لمنع السفن وناقلات البترول من التحرك من منابع البترول فى سيناء إلى ميناء إيلات ، وقد تمت عملية بث الألغام قبل يوم ٦ أكتوبر ، أى يوم ٥ أكتوبر ليلا ، والعدو لم يلاحظ هذه العملية وذلك لوجود تخطيط جيد واتصال شفرى من الصعب كسره فى فترة قصيرة .

وكان أول العمليات الاشتباك مع مركب إسرائيلى يوم ٧ أكتوبر سبق عبوره قبل يوم ٦ أكتوبر وكانت هذه إشارة لإسرائيل أن البحر الأحمر مغلق بواسطة القوات البحرية ، وأن عليها توجيه سفنها إلى جهات أخرى غير ميناء إيلات ، وإلا فإنها ستتعرض للتدمير ، وقد دمرت حقول الألغام سفينتين للبترول يومى ١٤ ، ١٦ أكتوبر حتى أصبحت إسرائيل يائسة من محاولة الحصول على البترول من خليج السويس .

وهنا ترك الكلمة إلى اللواء بحرى بدر إبراهيم قائد مجموعة المدمرات ليحكى القصة .

اللواء بحرى بدر إبراهيم : بعد نكسة ١٩٦٧ كانت مجموعة مدمرات البحر الأحمر مكونة من المدمرة الفاتح والمدمرة الظافر والفرقاطة رشيد ،

ولأغراض التمويه أخذت المدمرات أوامر بالتوجه إلى كراتشى فى باكستان . . حتى لا نلفت النظر للانتشار الإستراتيجى فيما بعد لبدء معركة ١٩٧٣ ، والغواصات ومعها الفرقاطة رشيد اتجهت بحجة الإصلاح إلى الهند ، وعادت إلى ميناء بورسودان قبل عمليات أكتوبر ، وتمركزت المدمرات فى ميناء عدن ، وكان الهدف إغلاق باب المندب لقطع إمدادات العدو ، وخاصة من البترول ، وهناك غرض سياسى آخر ألا وهو أن إسرائيل كانت تدعى أنها ستبقى فى سيناء لضمان حرية الملاحة فى خليج العقبة ، فالقوات البحرية والقوات المسلحة أثبتت أنه حتى والقوات الإسرائيلية موجودة فى سيناء ، لم تتمكن القوافل أو الإمدادات البحرية أن تصل إلى ميناء إيلات .

وقد نجحنا فى السيطرة على أضيق مكانين بالبحر الأحمر . . الأول أمام ميناء عدن والثانى أمام ميناء الحديدة . . حيث تولت المدمرة الظافر والفرقاطة رشيد قطع خطوط مواصلات العدو أمام خليج عدن ، والمدمرة الفاتح التى تشرفت بقيادتها كانت تعمل فى المنطقة بين ميناء الحديدة وجبل الطير (أضيق منطقة فى البحر الأحمر وفى خليج عدن) ، وتمكنا من قطع إمدادات العدو ، وخاصة البترول فيه بنسبة ١٠٠ ٪ ، وتم إعلان منطقة شمال خط عرض ٢٣ منطقة عمليات وممنوع الاقتراب منها وطبعا كل السفن وناقلات البترول والسفن التجارية لم تحاول العبور وامتثلت لهذه الأوامر وكانت تعود من حيث أتت ، وفى هذا الوقت كانت بعض المدمرات الأمريكية موجودة فى المنطقة ولم تتدخل فى القتال حتى أثناء اشتباكنا مع سفينة تجارية ترفع العلم الأمريكى ، وعند إطلاق النار عليها استغاثت ولم تتدخل المدمرات الأمريكية لإنقاذها ، وبعد أن

توقف إطلاق النار بيومين ظهرت بالمنطقة بعض القطع الفرنسية منها سفينة نقل جنود فرنسية .

شهادة مؤرخ أمريكى :

المشير الجمسى : شكرا . . لكى ألخص موضوع يوم ٦ أكتوبر . . أى العملية الهجومية الرئيسية واقتحام المانع المائى والعبور فى صباح ٧ أكتوبر . . كان يوجد خمس فرق مشاة وقوة قطاع بورسعيد نجحوا فى عبور قناة السويس وأنشأوا خمسة رءوس كبارى فى الضفة الشرقية بعد نجاحهم فى خمس معارك تكتيكية وانهيار خط بارليف الذى كان يمثل الحماية والقوة بالنسبة لإسرائيل ورفعت الأعلام المصرية على الضفة الشرقية للقناة تحت نداء الله أكبر ، ولقد تحقق هذا الإنجاز الكبير بنسبة خسائر ضئيلة جدا لأن عامل المفاجأة ساعد أيضا بالإضافة إلى قدرات القوات . . ونسبة خسائرنا كانت ٥ر٢٪ فى الطائرات من عدد ٢٠٠ طائرة مشتركة ، والدبابات ٢٠ دبابة بنسبة ٢٪ ، و ٣ر٪ فى الأفراد . . حيث استشهد فى هذا اليوم ٢٨٠ فرداً .

ولقد قال العدو عن عملية الاقتحام على لسان المؤرخ العسكرى «دبوى» وهو مؤرخ أمريكى من المقربين للبنتاجون ومن أصدقاء إسرائيل ، قال :

إن التخطيط الماهر الذى اتسم بالدقة الكاملة والسرية التامة وتحقيق المفاجأة الكاملة وكذا التنفيذ الكفء . . أدى كل ذلك إلى نجاح عمليات العبور . . التى ستظل تذكر فى التاريخ .

د.محمد حسن الزيات

وزير خارجية مصر أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣

وحان الوقت ليسمع الحاضرون الدكتور الزيات، الذى بدأ حديثه بقوله: أذكر أن المرحوم الدكتور محمود فوزى كان يقول :

مسكين وزير الخارجية الذى ليس بجانبه وزير حربية قادر . . لأنه سيكون كرجل مفلس يذهب للسوق، ليشترى ماذا بماذا . .

إننى اليوم سعيد حقيقة لأننى أسمع بنفسى وأشهد بنفسى الكنز الذى تملكه مصر ممثلا فى قواتها العسكرية والذى منه يمكن أن يصرف وزير الخارجية ويشترى ما يريد .

تكلمتم عن السادس من أكتوبر وأنا أريد أن أتكلم عن الخامس من أكتوبر الساعة ١٢ ظهرا بتوقيت نيويورك . . الساعة ٧ مساء بتوقيت القاهرة . . كان وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية يقول لى إن لدى مشكلة فى أوروبا هذا العام، فهذا عام أوروبا . . وبعدما أنتهى منها سأذهب إلى الصين، فالصين مهمة جدا .

وعندما أعود إلى هنا بعد ما أنتهى من أوروبا والصين فى أواخر نوفمبر سأطلب ملف الشرق الأوسط وأرى حكايتكم . .

فى اليوم التالى صباحا فى الساعة ٧,٠٥ صباحا بتوقيت نيويورك الساعة ٢,٠٥ بتوقيت القاهرة علم أننا عبرنا القناة . . اتصل بى تليفونيا وأبلغنى برسالة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات لإبلاغها له وهى :

«عودوا ثانية . . أفضل لكم العودة مرة ثانية» .

فأبلغته بأن ذلك ليس عبور جيش ولكن ذلك ميلاد أمة . . فكيف لى أن ألغى ميلاد شعب؟

فكرر لى . . أقول لك إذا لم ترجعوا مرة ثانية ستقع خسائر ضخمة جدا فى قواتكم . . الرئيس نيكسون يخبرك بضرورة إبلاغ هذه الرسالة للرئيس السادات . . فأبلغته على لسانى :

«أنا لا أستطيع أن أبلغ هذه الرسالة . . هذه الرسالة غير قابلة للتبليغ ، وأحب أن أخبرك أن رجالنا يفضلون الموت وهم على أقدامهم بدلا من أن يعيشوا وهم راكعون» .

هذا الكلام الذى قلته هناك . . أسمعه هنا كحقائق من الرجال . . هذا الكلام كان إحساسًا صادقًا . . بارك الله فيكم لمصر والسلام عليكم . .

وفتح المشير الجمسى باب الأسئلة للحاضرين من غير العسكريين ، وأول من سأل :

الفنان محمود ياسين : قرأت فى كتاب اسمه «التقصير» المترجم عن العبرية ، تحدث عن الأخطاء والتقديرات الخاطئة للجيش الإسرائيلى ، مما أسفر عن هزيمته .

كما تحدث كتاب «التقصير» عن الخرائط المترجمة من العبرية إلى العربية . . هذه الخرائط تحدد خطة أو نظام مضخات وأنابيب النابالم على امتداد القناة والتى تسربت إلى القيادة المصرية .

وقد اعتبر المؤلف أن تسرب هذه الخرائط إلى المصريين من أهم أسباب

القصور أو أحد الأسباب التى أدت إلى هزيمتهم باعتبار أنهم قد أضافوا سلاحا جديدا هو خزانات النابالم التى ستحيل سطح القناة إلى جحيم عند أى محاولة للعبور.

وكان السؤال الذى يشغلهم كيف تسربت هذه المعلومات وهذه الخرائط إلى الجيش المصرى ؟

وأرى أن هذا اللقاء فرصة لتوضيح هذا الأمر . .

التغلب على خزانات النابالم :

الفريق يوسف صبرى أبو طالب : الحقيقة فى أيام حرب الاستنزاف استخدمت إسرائيل النابالم للتخويف . . ولكن مع ارتفاع الساتر الترابى ، ارتفعت الخزانات ، ولكى يتم ضخ أى كمية من ماسورة ٢ بوصة أو ٤ بوصة . . لو نحسبها بالمنطق سنجد أننا سنحتاج مضخات ضخمة جدا لضخ ما يواجه سرية أو فصيلة .

المواسير التى وجدت قبل المعركة كانت عبارة عن ٢ بوصة و٣بوصة مهملة ، ولذلك لم يستخدم النابالم فى هذه المعركة .

الفريق عبد المنعم واصل : قائد الجيش الثالث الميدانى أثناء حرب أكتوبر ٧٣ومحافظ الشرقية السابق :

مثلما ذكرت سيادتكم فجميع مواسير النابالم قمنا بسدها بأسلوب بسيط جدا قام به سلاح المهندسين فى الجيش الثالث ، وكنا ندرب الجيش المصرى على السباحة وخروج الدوريات ليلا ، وكيفية التجديف سواء

كان القارب مطاطيا أو خشبيا ، وكيف يفرق ويشتت كتل النار الناتجة عن النابالم باستخدام سعف النخيل لكى يفتتها .

كما أن مهندس الصيانة الإسرائيلى لهذه المضخات والذى جاء قبل يوم العمليات لعمل صيانة لها تم أسره فى اليوم الأول للحرب واسمه موجود ضمن الأسرى الإسرائيليين .

الفريق حسن أبو سعدة : فى الحقيقة أود أن أعلق على هذا الموضوع وأقسمه إلى جزئين :

الجزء الخاص بوجود بعض الشهداء داخل سيناء . . هذا من الجائز ، فقد كان لدينا مجموعات مؤخرة وهى عناصر استطلاع ندفعها إلى أعماق بعيدة أمامنا داخل سيناء . . لكى تراقب أى تقدم لقوات العدو وتبلغنا بها .

من الممكن أن بعض هذه العناصر قد استشهد أثناء تأديته لمهامه داخل سيناء .

وهذه العناصر مزودة بخرائط مصرية بدون إحداثيات .

ولماذا هذه الخرائط بدون إحداثيات أو ترقيم ؟

لأنه يهمنا أن خرائطنا وإحداثياتنا وترقيمنا لا تصل إلى الجانب الإسرائيلى . يجوز أنهم تصوروا أن خرائط بدون إحداثيات تعتبر مترجمة عن الخرائط الإسرائيلية ، وللعلم كان لدينا خرائط إسرائيلية وكنا نستطيع أن نطبع منها .

أما موضوع النابالم لا يمكن أن يظهر على الخرائط وذلك مبالغ فيه من الجانب الإسرائيلى .

وحول سؤال المشير الجمسى كرئيس هيئة العمليات فى معركة ١٩٧٣ فى المركز ١٠ . .

لماذا لم ينتقل المركز ١٠ إلى مركز متقدم مع تطور العمليات ، خاصة أن هناك مركزا مجهزا لهذا الغرض ؟ وهل كان عدم تقدمه سببا فى حدوث الثغرة ، خاصة وكلنا نعلم أن الثغرة لم تقلل من انتصار أكتوبر ، ولكنها كانت مثل النقطة السوداء فى الثوب الأبيض ؟

أجاب المشير الجمسى قائلا :

المركز ١٠ فى مقره موجود خارج القاهرة ووضعه النسبى بالنسبة للمواجهة «المسافة بين القيادة العامة للقوات المسلحة وقناة السويس» حوالى ١٢٠ كم أو ١١٠ كم بالضبط .

وفى المسافة الفاصلة بين الـ ١٠٠ كم أو الـ ١١٠ كم من شرق القاهرة حتى القناة توجد قيادات الجيوش ، وقيادات الجيوش تكون خلف جيوشها وقواتها بمسافة محدودة ومعروفة تماما .

ولو أن القيادة العامة للقوات المسلحة انتقلت من المركز ١٠ كوثبة للأمام ستبقى لصيقة لمراكز قيادة الجيوش .

والوضع النسبى العلمى لمركز القيادة لابد وأن يكون فى وضع متأخر لإدارة العمليات لا أن يكون ملاصقا لمراكز قيادة الجيوش .

وعدم تقدم المركز لا علاقة له بأى خطأ ، كما أنه لا علاقة له بموضوع الثغرة . . لأن موضوع الثغرة فى مركز قيادة آخر تبادلى .

كما أن مركز القيادة التبادلى المتقدم تم حفره للانتقال إليه فى حالة التقدم فى سيناء للاقتراب من مراكز قيادة الجيوش .

فالوضع النسبى الموجود فى مركز ١٠ موجود عندنا، وهذا وضع سليم ١٠٠ ٪ من الناحية العلمية ولم يؤثر علينا إطلاقا فى البعد أو القرب من القناة.

ولو كانت هناك فائدة من الانتقال لتم ذلك، وهذا النظام متبع فى كل جيوش العالم، حتى فى إسرائيل نفسها.

أ. خليل الحسينى : فى جلستنا اليوم كتاب وكبار مفكرين وأقلام جيدة . . فهم رجال أكفاء فعلا فى الكتابة.

وسيادتك فى عرضك ذكرت أنه لم يتم تصوير الحرب.

ولم أناقش سيادة المشير فى أنه فى ظل العلاقات الطيبة الموجودة الآن مع دول غربية من الممكن أن نستعين بما صورته ونقلته الأقمار الصناعية عن حرب أكتوبر

ألم يؤرخ لهذه الحرب من خلال هذه الكتابات الجيدة، وهل أنت راض عن التأريخ لهذه الحرب حتى الآن ؟

وقال المشير : إن معركة أكتوبر لم يتم تأريخها حتى الآن بالكامل، وبعض الكتب التى صدرت فى مصر أو خارج مصر كتبت بعض زوايا صحيحة، وبعض نواحى أخرى أخذت الطابع الإعلامى.

فالتأريخ حتى هذه اللحظة لم يستكمل، ولم يكتب تاريخ معركة أكتوبر بالكامل.

وأشار إلى أن الرئيس الراحل السادات قد فكر فى عمل فيلم سينمائى مثل فيلم «اليوم الطويل»، يكون فيلما سينمائيا تاريخيا وثائقيا

أيضا، ووجد أنه يحتاج إلى مبالغ ضخمة، وبعد ذلك أصبحت الفكرة فى طى النسيان.

وحول سؤال المشير الجمسى عن أن القوات المسلحة لم تمد أصحاب العلم والفكر بالمعلومات الكافية لكى يكتبوا ويؤرخوا. .

أجاب سيادته قائلا :

بأن القـوات المسلحـة لن تذهب للكتـاب العظام وتعـرض خدماتها. . هؤلاء الكتاب لهم مصادرهم الخاصة. . وأعرب المشير عن اعتقاده بأن القوات المسلحة لم ولن تبخل بإعطاء معلومات لأى كاتب يكتب بموضوعية وليس لمجرد الاستهلاك.

الفريـق يوسف عفيفى : أعقب على ذلك وأقول أن السادة الكتاب الكبار، دائما ما يلومون ويقولون لا توجد معلومات، ولكنهم لو سألوا الأحياء من قادة أكتوبر ونحن منهم وسيادتك والأخ أبو سعدة منهم، إذا لجئوا إلى هؤلاء الأحياء سيحصلون منهم على معلومات كثيرة، ولكنهم للأسف يقولون. . لا توجد معلومات بالرغم من أننا موجودون ولدينا معلومات كثيرة ودقيقة جدا وموثقة، المهم أن يبدءوا فى العمل. بدلا من أن يقولوا إننا لا نكتب عن المعركة لعدم وجود معلومات، وأنا أشعر بالحزن عندما أرى التليفزيون وأشاهد كاتبا كبيرا يقول إنه لم يكتب عن المعركة. . إذن من الذى يكتب؟

إننى أرجو أن يستفيدوا بقادة أكتوبر الأحياء قبل أن يموتوا، وحتى يمكنهم أن يوثقوا المعركة.

المفـاوضـات

المشير الجمسى : بعد إذنكم ، خلال عشر دقائق سننهى المناقشة وتبقى الساعة العاشرة والربع .

إذا كان هناك أى أسئلة أخرى أو استيضاحات ؟

وكان آخر سؤال فى هذا اللقاء موجها للمشير الجمسى :

سيادتك كنت رئيسا لهيئة العمليات عندما شاركت فى مفاوضات الكيلو ١٠١ ثم اشتركت سيادتك بصفتك رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة فى مباحثات أسوان وفى مباحثات فض الاشتباك بين القوات ، ولا بد أن سيادتك تمكنت من تقييم الجانب الإسرائيلى فى التفاوض وخاصة من الناحية العسكرية ، وحاليا تدور مفاوضات فى واشنطن بين إسرائيل ودول الطوق ، كما يطلق عليها ، ما هو تصورك أو خبراتك التى يمكن أن تنقلها إلى من يقومون حاليا بالمفاوضات ؟

المشير الجمسى : أنا أتصور أن المفاوض المصرى والإسرائيلى وجها لوجه . . موضوع طبيعى جدا ، مثل أى مفاوضات أخرى . . المفاوض الإسرائيلى فاهم الموضوع قوى من الألف إلى الياء ، وهذه ميزة يمتاز بها ،

والحاجة الثانية أنه عنده أوامر من حكومته بتحقيق هدف معين، وإذا لم يحقق هذا الهدف فلا يتنازل ولا يتكلم ويترك الأمر لمن هو أكبر منه . .

الذى لاحظته فى الكيلو ١٠١ ، وبعد ذلك فى المفاوضات أن المفاوض الذى يستند إلى مركز قوة عسكرية هو الذى يتكلم بلغة سياسية قوية . .

والسؤال يركز فى رأيى على المفاوضات الحالية التى بدأت فى مدريد، وتدور حاليا فى واشنطن، فإننى أقول إن إسرائيل تشعر أنها قوية سياسيا وعسكريا . . استنادا إلى الجانب الأمريكى، ولو تخلت أمريكا عنها ولو جزئيا حتتعب جدا فى المفاوضات . . ولو رجعنا لعامى ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ فإن الموضوع موضوع قوة مع الجانب الإسرائيلى، الأقوى هو الذى يفرض إرادته .

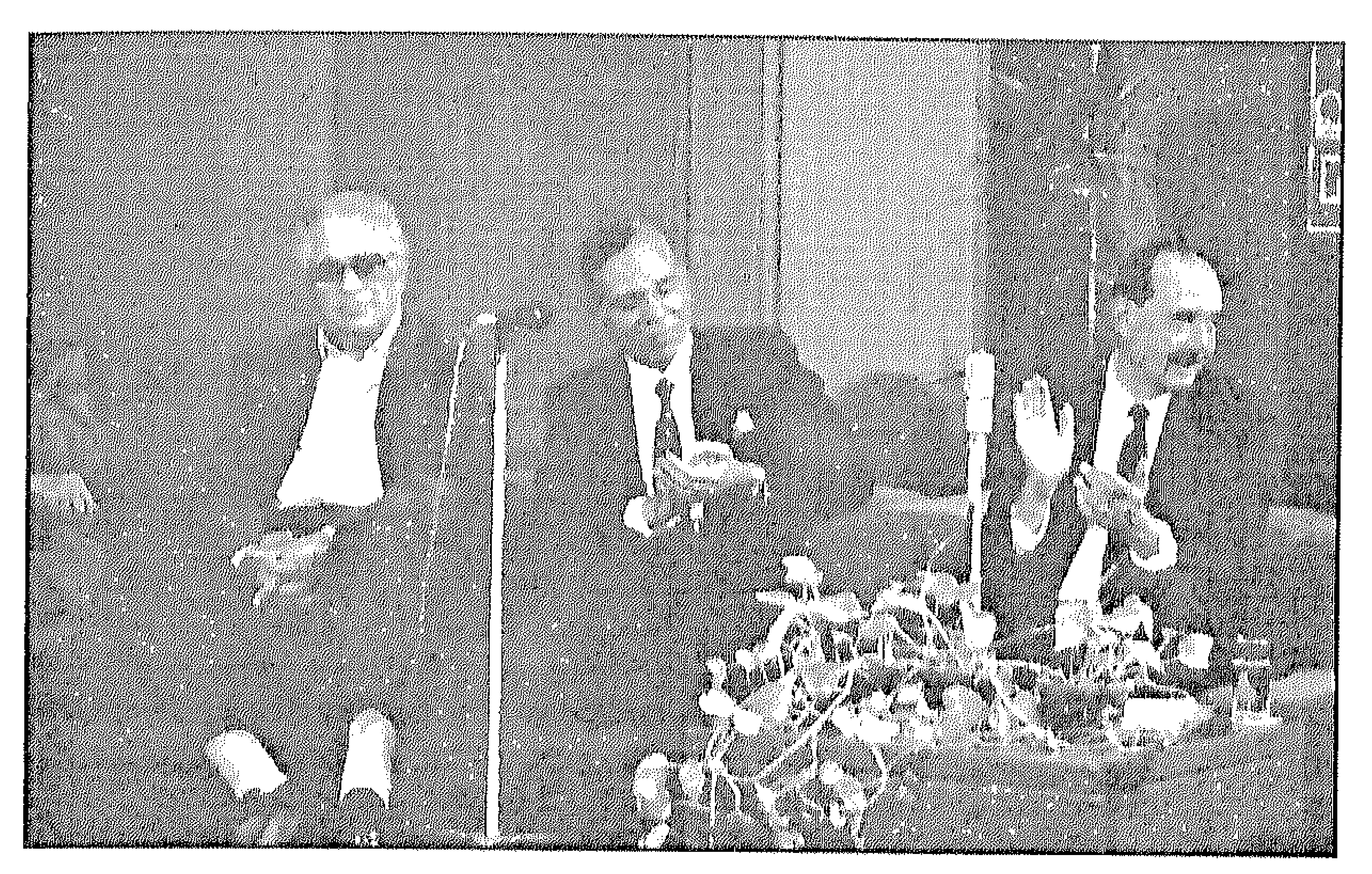
وأنا مقتنع أن معركة أكتوبر ١٩٧٣ كانت حتمية بعد أن سدت جميع الطرق أمام الحلول السياسية . . الآن بعد ٤٤ سنة من الصراع فقد أجهد الطرفان، الطرف العربى والطرف الإسرائيلى وليس عندهم قدرة سياسية ولا قدرة عسكرية لكى يفرضوا إرادتهم، لا العرب ولا إسرائيل . . إذن تبقى الكرة فى يد الولايات المتحدة الأمريكية حاليا لكى تضع الحل، ولا أريد أن أقول تفرضه على الجانبين، ولكنها تحاول جمع الجانبين للموافقة على هذا الحل، أو حسب تصورى إذا لم تصلح هذه الطريقة لحل المشكلة سياسيا ستكون الحرب الخامسة حتمية .



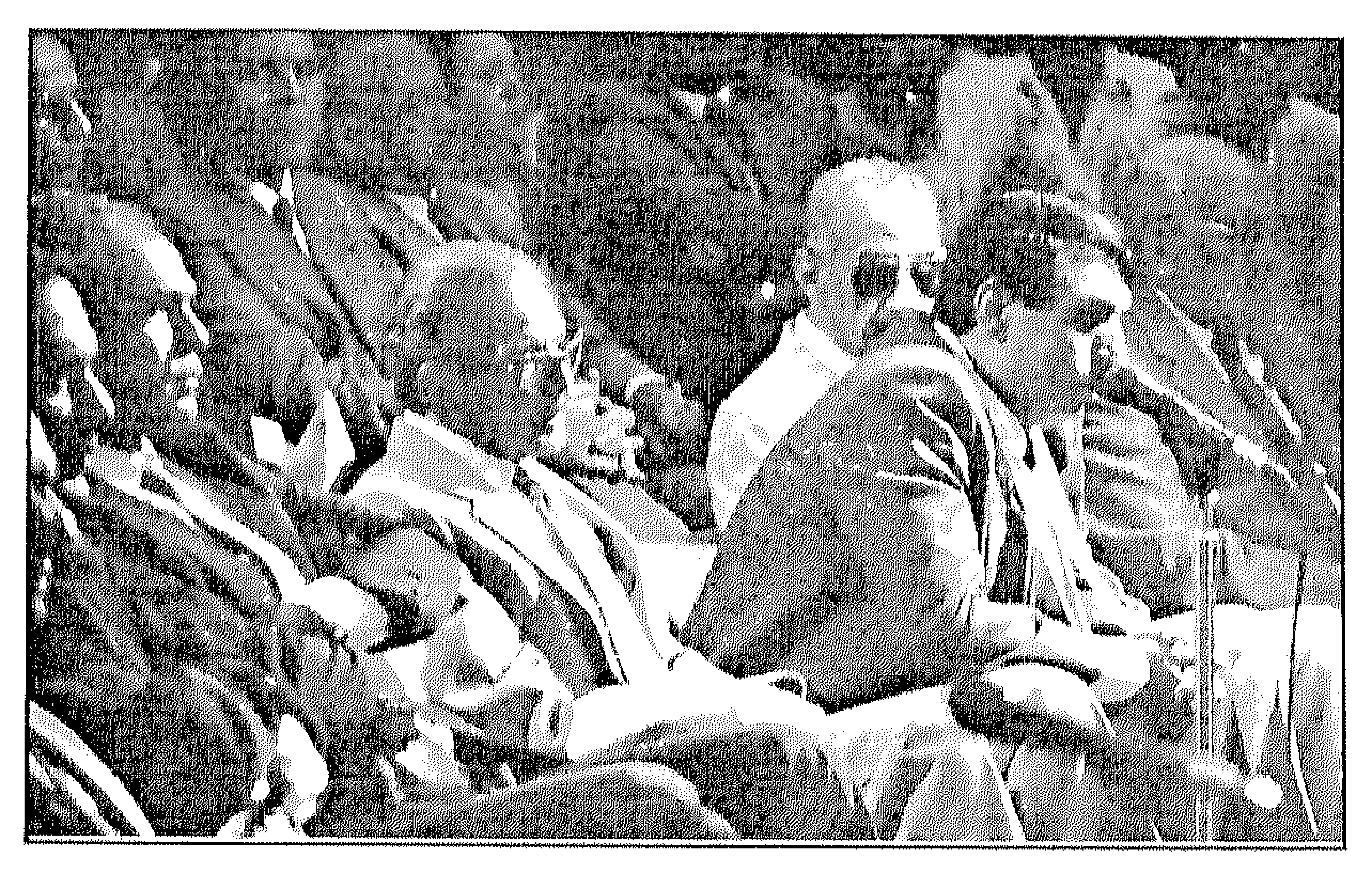
المشير الجمسى فى حوار حول حرب أكتوبر المجيدة.



سيادة المشير الجمسى مع ضيوف الصالون وقادة الجيش فى حرب اكتوبر



المشير الجمسى يشارك فى حوار الصالون وبجانبه وزير الدفاع السابق يوسف صبرى أبو طالب والكاتب أنيس مصور



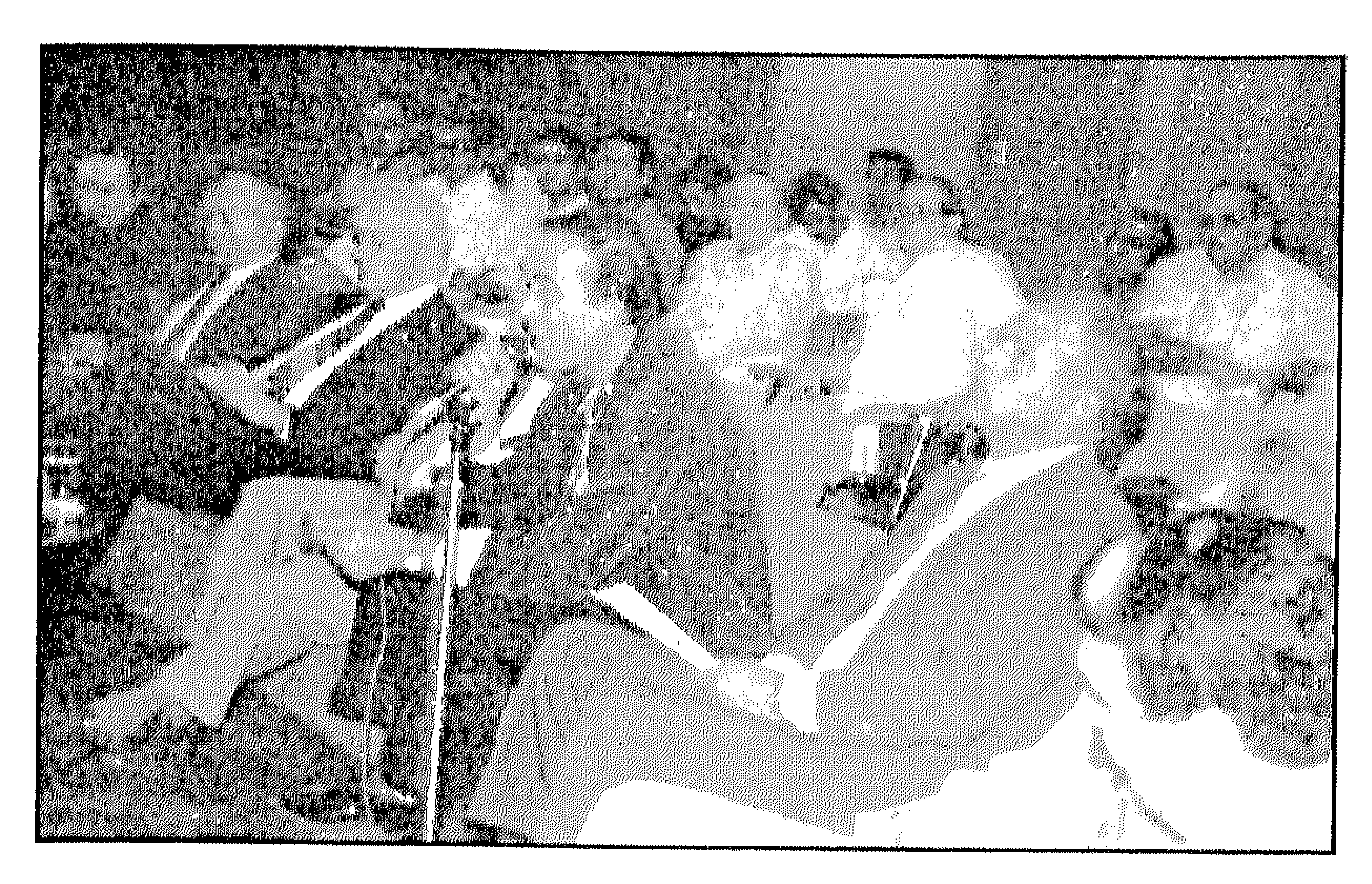
جانب من ضيوف صالون المشير الجمسى



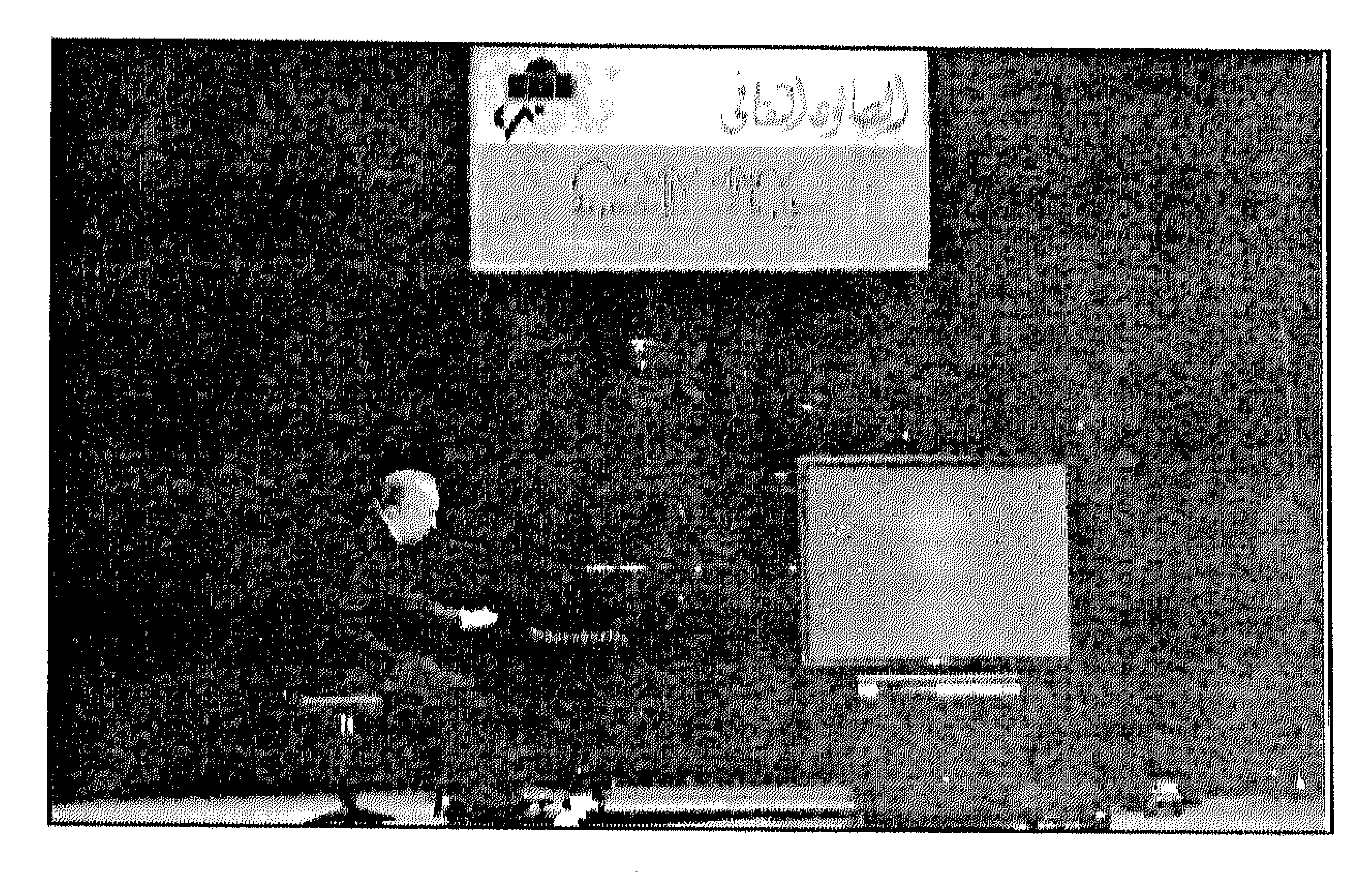
المشير الجمسى يسترسل عن مشواره مع القوات المسلحة



جانب من شهادات قادة حرب اكتوبر



الفنان محمود ياسين يسأل المشير الجمسى



الفنان عمر خيرت يشارك ببانوراما العبور



صالون الأوبرا الثقافى

المشير محمد على فهمى

الأربعاء ١٩/١٠/١٩٩٤م

المشير محمد على فهمى

ـ تخرج فى الكلية الحربية فى ١ نوفمبر ١٩٣٩

ـ حاصل على ماجستير العلوم العسكرية من كلية القادة والأركان عام ١٩٥١.

ـ خريج الأكاديمية العليا للدفاع الجوى بكالينين بالاتحاد السوفييتى عام ١٩٦٥.

ـ المناصب العسكرية الرئيسية التى تولاها :

* مدرس بمعهد الدراسات للضباط العظام ١١/ ١١/ ١٩٥٢.

* هيئة عمليات الجيش وسكرتير هيئة العمليات المشتركة (جيش ـ بحرية ـ طيران) ٢٩/ ٩/ ١٩٥٣ حتى أكتوبر ١٩٥٦.

* تدرج فى قيادة الوحدات المضادة للطائرات حتى تولى قيادة فرقة فى ٩/ ١٢/ ١٩٦٣.

* قائد قوات الدفاع الجوى فى ٢٣/ ٦/ ١٩٦٩.

* رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى ٤/ ١/ ١٩٧٥.

* المستشار العسكرى لرئيس الجمهورية فى ٤/ ١٠/ ١٩٧٨ حتى ١١/ ٥/ ١٩٨١ .

ـ المناصب المدنية التى تولاها :

* رئيس مجلس إدارة شركة الملاحة الوطنية ١١/ ٥/ ١٩٨١ حتى ١١/ ٥/ ١٩٨٦ .

* حاليا رئيس نادى التوفيقية للتنس .

الحروب التى اشترك فيها :

حضر وشارك فى الحروب بدءا من الحرب العالمية الثانية وانتهاء بحرب أكتوبر المجيدة .

الأوسمة والنياشين الحاصل عليها :

حاصل على أوسمة ونياشين عديدة أهمها :

* النجمة العسكرية فى معارك الاستنزاف .

* نجمة الشرف فى معركة أكتوبر .

* نجمة الشرف العسكرية مرتبة فارس من سوريا .

* وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة من المملكة العربية السعودية .

* وشاح النيل عام ١٩٨١ .

(يمنح لرؤساء الوزارات أو من فى مرتبتهم)

المؤلفـات :

قام بكتابة ونشر عدة كتب أهمها :

* القوة الرابعة (تاريخ الدفاع الجوى منذ نشأته وحتى معركة أكتوبر ٧٣)
* التنظيم والتخطيط وإدارة أعمال قتال قوات الدفاع الجوى .
* أحلاف وأحلاف (الشرقية والغربية) .
* برلين بين الشرق والغرب .
* الحملة الفلسطينية ١٩١٤ ـ ١٩١٧ (من جزئين)

ـ رئيسا لتحرير مجلة الجيش لمدة خمس سنوات .

(المشير محمد على فهمى.. ومعركة أكتوبر)

افتتح المشير محمد على فهمى - رئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق وقائد قوات الدفاع الجوى خلال معركة أكتوبر - محاضرته بسرد لمشوار حياته العسكرية إلى أن وصل إلى منصب قائد قوات الدفاع الجوى .

(ومن خلال هذا المنصب تحمل الرجل باقتدار مسئولياته فى المشاركة فى حماية سماء مصر ، وكان دوره فى معركة أكتوبر دورا رئيسيا ، فقد كانت قواته هى التى منعت قوات العدو الجوية - أو ذراع إسرائيل الطويلة - من التدخل لعرقلة اقتحام القناة واكتساح خط بارليف وإنشاء رءوس الكبارى شرق القناة .

هذه المهمة وهذه المسئولية ، لم تكن لتحتل مكانها فى التاريخ العسكرى إلا إذا كان وراءها جهد يلامس حدود الأسطورة ، وعرق غزير وقدرات فائقة للتخطيط والتدريب والإعداد والتنفيذ .)

- لقد شاء القدر أن أكون أحد قادة معركة أكتوبر ١٩٧٣ .

وفى مشوار حياتى الطويل علامات مضيئة ولحظات لا تنسى كان لى فيها الدرس والعبرة . . وتعلمت منها الكثير .

واليوم سأحدثكم عن بعض منها ليكون فيها الدرس لشبابنا علها تضيء لهم الطريق وتمنحهم المثل والقدوة . .

كيف انخرطت فى سلك الجندية ؟

إنها ساعة لا تنسى . . الساعة التى اتخذت فيها قرار الالتحاق بالكلية الحربية .

كنت طالبا فى كلية الهندسة جامعة فؤاد الأول(١) بالقسم الإعدادى عام ٣٨ عندما بدأت غيوم الحرب العالمية الثانية تزحف على أوروبا وبدأ هتلر يدق طبول الحرب . .

وبدأت البعثة البريطانية فى الجيش المصرى تخطط لزيادة حجم الجيش المصرى حتى يكون قادرا على حماية القواعد الإدارية للقوات البريطانية فى مصر فى حالة قيام الحرب . .

واتخذ القرار بالإعلان عن دفعة كبيرة بالكلية الحربية ، ويفضل الحاصلون على البكالوريا علمى ، أى الثانوية العامة قسم علمى . .

كان رئيس أركان الجيش وقتئذ الفريق محمود باشا شكرى ، وبناء على طلبه عقد لقاء مع طلبة كلية الهندسة جامعة فؤاد فى المدرج العام بالكلية للدعوة للالتحاق بالكلية الحربية . . موضحا المزايا ومستنهضا الهمم للانضمام لصفوف الجيش المصرى لننال شرف الانتماء لهذا الجيش العظيم الذى سيكون منوطا به الدفاع عن البلاد فى الظروف العصيبة القادمة .

---

(١) جامعة القاهرة الآن .

حضرت هذا الاجتماع أنا وزملاء الدفعة، وكان من بينهم صديقان، هما المرحوم صلاح سالم (عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد) والمرحوم سيد عفيفى الجنزورى (تخرج فيما بعد طيارا واستشهد فى معركة فلسطين)..

وقد خرج ثلاثتنا من هذا الاجتماع وقد قررنا الالتحاق بالكلية الحربية..

لقد جاء قرارى هذا متمشيا مع ميولى؛ لقد كان يستهوينى فى الصغر - أثناء دراستى فى المدارس الابتدائية والثانوية - قراءة كتب التاريخ.. وخاصة تاريخ مصر..

فكنت أعيش أحلى ساعات عمرى عندما كنت أتصفح أمجاد بلدى فى عصورها الذهبية، كما كنت أشعر بالألم والأسى كلما كانت تقع مصر تحت وطأة حكم الأجنبى.

وكان يشد انتباهى بصورة غير عادية تاريخ القادة.. حياتهم وأعمالهم.

ولا زلت أذكر اسم مدرس التاريخ فى الثانوى الأستاذ «المليجى» الذى كان يشرح التاريخ بطريقة محببة للمستمع، منطقىٌّ فى سرده للمواقف يتفاعل وينفعل مع الأحداث..

ولكن للأسف لم يكن قرارى هذا متمشيا مع رغبة «الأهل» الذين كانوا يعطون الأسبقية للتخرج أولا من كلية الهندسة ثم الالتحاق بعد ذلك بالجيش إذا كانت هذه رغبتى..

وأمام تصميمى لم يجد «الأهل» طريقا سوى مباركة قرارى..

وقد كان . . بعد أن أمضيت الامتحان فى إعدادى كلية الهندسة ، التحقت بالكلية الحربية وتخرجت منها فى دفعة نوفمبر ٣٩ كملازم ثان فى سلاح المدفعية الملكى تخصص مدفعية مضادة للطائرات .

إنها ساعة تقرر فيها مصيرى . . وكانت أول خطوة فى مشوار طويل . . طويل . . ملىء بالحروب والعرق والدم . . أوصلتنى لقيادة قوات الدفاع الجوى التى لعبت دورا بارزا فى نصر أكتوبر العظيم . . ثم رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة ، ثم مستشارا عسكريا لرئيس الجمهورية . . إنها حقا ساعة لا تنسى . .

دور الرياضة البدنية فى حياتى..

قصتى مع الرياضة البدنية تبدأ عندما كنت تلميذا فى مدرسة الحسينية الابتدائية ، وكانت تشغل وقتئذ فيلا «البنان بك» عضو الوفد ، وكانت تقع فى أول الحسينية ، وناظر المدرسة كان مأمون بك إدريس .

كانوا بصدد تشكيل فريق كرة قدم للمدرسة ، وتم انتقائى ضمن فريق المدرسة . ولكن ما إن علم والدى بذلك حتى ذهب ورفع اسمى من الفريق .

المهم لم يتم تنفيذ فكرة إنشاء الفريق بالمدرسة لعدم وجود حوش كبير بالفيلا يصلح لتدريب الفريق ، بينما تم تنفيذ ذلك فى باقى المدارس الابتدائية التى بها أحواش كبيرة .

وكان دافع والدى - رحمه الله - فى عدم إشراكى فى فريق الكرة أن المدرسين كانوا ينظرون إلى الطلبة المنضمين لفريق الكرة على أنهم «لعبية»

ويطغى اهتمامهم بالكرة على الدروس ، حتى أن بعض المدرسين كانوا يطردون أفراد فريق الكرة من حصصهم حتى لا يعطلوا باقى الطلبة عن مواصلة دراستهم . بل إن معظم الطلبة الذين كانوا ينضمون للفرق الرياضية كانوا يتخلفون عن زملائهم فى الدراسة .

ومثل حى على ذلك كان المرحوم عبد الكريم صقر[1] زميل الدراسة فى الحسينية الابتدائية ، والذى ترك الحسينية إلى مدرسة بها فريق كرة قدم . . وتعثر فى دراسته السنة تلو الأخرى لدرجة أنه التحق بالسنة الأولى فى مدرسة فؤاد الأول الثانوية فى نفس السنة التى انتقلت فيها إلى السنة الخامسة الثانوى (البكالوريا) . .

ومعنى هذا أن والدى فعل ما فعل لكى أعطى تركيزى للدراسة ويكون اهتمامى بالرياضة موجودا ولكن ليس على حساب الدراسة . .

ولما التحقت بمدرسة فؤاد الأول الثانوية كنت فى أوقات الفراغ بالمدرسة أمارس الملاكمة وبعض تمرينات العقلة والمتوازيين ، لأننى كنت أريد أن أبنى قوتى الجسمانية حتى أكون قادرا على الدفاع عن النفس ، حيث كان هناك دائما بعض الطلبة المشاكسين الذين يحلو لهم العدوان على المستضعفين من الطلبة .

وخلال الإجازات الصيفية كنت أتردد على حمام سباحة وزارة المعارف ، وكان قائما بشارع الملكة نازلى (رمسيس) وهدم منذ سنوات عدة ، وتخرج فيه وقتئذ أبطال مصر فى السباحة وكرة الماء . .

وكنا نذهب أنا وأصدقائى الذين يقطنون بجوار منزلى إلى حمام

---

(١) أحد أشهر لاعبى الكرة فى مصر .

السباحة سيرا على الأقدام من شارع أحمد سعيد بالعباسية ذهابا وإيابا كرياضة «مشى» .

كما كنت أتردد على ملاعب مدرسة «قصر الأهلية» بالظاهر التى كانت تفتح ملاعبها الرياضية فى الإجازات الصيفية لطلبة الحى .

وكنت أمارس فى هذه الملاعب رفع الأثقال الخفيفة وبعض ألعاب العقلة والمتوازيين وكرة السلة .

وفوق سطح منزلى كنا نمارس هذه الألعاب على أدوات من صناعتنا . . وكان يعتبر ناديا صغيرا لى ولأصدقائى من «الجيران» .

هذا، ومن الألعاب التى كنت أمارسها لعبة «الوثب العالى» ، ومن طريف ما أذكره عنها أننى فى إحدى الإجازات الصيفية كان العمال الذين يعملون فى تعلية أحد المنازل المجاورة قد ثبتوا أمام منزلى عمودين خشب يستخدمان فى ثنى حديد التسليح ، فربطنا بينهما حبل ليف وأخذنا نمارس من فوقه رياضة الوثب العالى . . وفى قفزة من القفزات اصطدمت رجل أحد القافزين بالحبل وهوى على الأرض وكسرت ذراعه ، وكان هذا الزميل هو المرحوم الدكتور أحمد عبد الخالق جعفر أستاذ أمراض النساء بجامعة الإسكندرية ، فحمله بواب منزلنا إلى منزله .

وعندما كنت فى السنة الرابعة ثانوى كنت ضمن أسرة «قاسم أمين»[1] بالمدرسة ، وكنت ضمن فريق كرة السلة للأسرة ، وقد فاز سنتها فى بطولة الأسر ، ومازلت أحتفظ بميدالية الفوز حتى الآن . .

---

(١) كتب كتابين دفاعا عن المرأة ومن أجل تحريرها من القيود التى تكبلها حتى وصف بأنه محرر المرأة .

وباختصار خلال دراستى الثانوية كنت أشبع هوايتى للرياضة بكل السبل العملية والعلمية، فكنت مشتركا فى مجلة «الرياضة البدنية» التى كان يحررها ويصدرها الكاتب المعروف «فايق الجوهرى»- رحمه الله- إذ كنت أجد فيها غذاء فكريا للناحية الرياضية التى تستهوينى . .

ولما التحقت بالقوات المسلحة بدأت ألعب التنس عندما كنت برتبة يوزباشى (نقيب) فى عام ٤٧ ، حيث كنت أعمل بمعهد الدراسات للضباط العظام بقشلاقات العباسية، وكان بالمعهد ملاعب تنس، والمضارب والكور متوافرة . .

وأصبحت رياضة التنس منذ ذلك الوقت وإلى وقتنا هذا رياضتى المفضلة . .

وباختصار شديد وبعد هذه النبذة السريعة عن الرياضة البدنية فى حياتى أقول إن «الرياضة البدنية» كان لها دور كبير فى تكوين شخصيتى القيادية، فإذا انضم إلى ذلك العلم والمعرفة والخبرة العسكرية مع الشجاعة والإقدام تكتمل خصال القائد . .

فعندما كنا ندرس فن القيادة في مدرسة المدفعية المضادة للطائرات للجيش البريطانى بحيفا عام ١٩٤٥ كانوا يقولون لنا إن ركائز القيادة الناجحة للقائد هى العلم، الخبرة، الشجاعة.

ومن وقتها وضعت هذه الثلاثية نصب عينى، ولم أدع فرصة تمر دون أن أنمى فيها قدراتى أو أرفع فيها كفاءتى وأزيد من خبراتى العسكرية :

فاشتركت فى الحرب العالمية الثانية كقائد مدفعية مضادة للطائرات، ثم كأركان حرب آلاى ثقيل مضاد للطائرات.

ودرست فى الجيش البريطانى بمدرسة المدفعية المضادة للطائرات بحيفا عام ١٩٤٥.

واجتزت جميع الفرق التعليمية بتفوق.

وتخرجت فى كلية القادة والأركان عام ١٩٥١، وكنت أحد ثلاثة نالوا أحسن تقدير فى التخرج.

ودرست مع الخبراء السوفييت فى مصر ثم فى الاتحاد السوفييتى فى الأكاديمية العليا للدفاع الجوى «بكالينين».

ومن ناحية الثقافة العسكرية ألفت عددا من الكتب العسكرية فى مجال تخصصى.

وباختصار لقد تدرجت فى المناصب القيادية بالتشكيلات الميدانية.. ومارست التدريس وعملت فى أجهزة القيادة العامة للقوات المسلحة.

نقطة التحول فى حياتى العسكرية:

كانت المحاضرة التى ألقيتها فى يونيو ١٩٦٦ عقب عودتى من بعثة الدفاع الجوى فى «كالينين» بالاتحاد السوفييتى - فى نهاية نوفمبر ١٩٦٥ - وكان ذلك فى معسكر ضرب نار الصواريخ المضادة للطائرات سام ٢ أمام القائد العام المرحوم عبد الحكيم عامر، وقائد القوات الجوية المرحوم صدقى محمود، والفريق أول محمد فوزى رئيس أركان حرب القوات المسلحة وقتئذ، وشرحت فيها تكتيكات العدو الجوية، وشكل الهجمة

الجوية المنتظرة فى أى هجوم منتظر لإسرائيل، وركزت فيها على الهجوم الجوى من الارتفاعات المنخفضة جدا وأن أسلحتنا يجب أن تكون متطورة لمقابلة مثل هذا الهجوم - كانت تلك المحاضرة - هى نقطة التحول فى حياتى .

وتأتى نكبة عام ١٩٦٧ . . ويتحقق فيها ما جاء فى محاضرتى . . ويكون ذلك سببا فى تعيينى قائدا للصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات . وقال لى الفريق أول محمد فوزى بعد تعيينى «إن محاضرتك يامحمد قبل النكسة ما زالت فى مؤخرة رأسى ولا يمكن أن أنساها . . » .

وبهذا التعيين أكون قد وضعت نفسى على أول الطريق لقيادة الدفاع الجوى فيما بعد . .

ظهور القوة الرابعة كان أول خطوة على طريق النصر..

وإذا حدثتكم عن قوات الدفاع الجوى فأنا أحدثكم عن القوة التى قال عنها العدو : «إنها سببت له أوقاتا عصيبة جدا أثناء حرب كيبور» وقد قابلت الجنرال عزرا فايتسمان يوم ١١ يناير ٧٨ بقصر الطاهرة أثناء انعقاد اللجنة العسكرية المنبثقة من اجتماع القاهرة التحضيرى لمؤتمر السلام بيننا وبين إسرائيل، وقال لى : «جنرال فهمى! لقد سببت لنا قواتك أوقاتا عصيبة فى حرب كيبور» .

إنها القوة الرابعة . . القوة التى ما زلت أذكر مولدها يوم ٢٣ يونيو ١٩٦٩ حيث أعلنت بالقرار الجمهورى بتعيينى أول قائد لهذه القوة بقائد وقيادة منفصلة تقف فى شموخ بجانب القوات البرية والبحرية والجوية .

القوة التى عليها حماية المجال الجوى لسماء مصر ضد أقوى قوة لدى العدو، الذراع الطويلة التى كان يعربد بها فى المنطقة ويتفاخر ويتباهى بها .

ثانى يوم من تعيينى قابلت الرئيس جمال عبد الناصر فى منزله بمنشية البكرى، وبعد أن هنأنى قال لى : «أنا يا محمد بأشفق عليك من المسئولية» .

كلمة شجعتنى، وأخافتنى فى الوقت نفسه . . شجعتنى لأن القائد الأعلى يقدر عظم المسئولية التى ألقاها على عاتقى، وبالتالى فلن يتوانى عن تشجيعى وتقديم كل عون لى لإنجاح مهمتى . . وأخافتنى إذ كان على أن أبذل جهدا فوق طاقة البشر كى أثبت أننى أهل لهذه الثقة فى ذلك الوقت العصيب . .

وقد نظرت يومها إلى السماء وتطلعت إليها فوجدت أنها فسيحة مترامية الأطراف متسعة الأبعاد اتساع مسئوليتى الجديدة، فقدْ أصبحت مسئولا عن اكتشاف وتدمير أى طائرة معادية تطير فى هذا المجال الجوى الفسيح . . والموارد قليلة، والإمكانات محدودة، والأعصاب مرهقة والنفوس مجهدة من نكبة عام ١٩٦٧ .

وأصبح على كتفى وعلى سواعد رجال الدفاع الجوى - القوة الرابعة الفتية - تحقيق هذا الهدف . . لدرجة أن الضباط فى القوات المسلحة وقتها كانوا يتندرون فيما بينهم ويقولون : «اللواء محمد على فهمى سحب الشايب !» .

تحية وفاء لزوجتى :

أغتنم هذه الفرصة وأحيي زوجتى التى وقفت بجانبى بصبر وشجاعة ودفعت الثمن من صحتها ، وسأورد لكم قصتين :

القصة الأولى: عندما كثفت إسرائيل من ضرباتها الجوية ، ووصلت فى بعض الأحيان إلى ١٤٥ طلعة فى أوائل يناير ١٩٧٠ على الجيوش وداخل العمق بهدف إسقاط النظام المصرى عن طريق قصف الأهداف الإستراتيجية على ارتفاع منخفض ، ومن ناحية أخرى كان الطيارون الإسرائيليون يكسرون حاجز الصوت أحيانا بهدف الإزعاج والتأثير على الروح المعنوية فى الجبهة الداخلية ، وخلال هذه الأثناء حدثتنى زوجتى بالتليفون فى إلحاح وسألتنى . . إلى متى تتركون هذه الطائرات تعربد فى أجوائنا وأنتم واقفون مكتوفى الأيدى ، فما الذى ستفعلونه إزاء ذلك وأنت مسئول فى الدفاع الجوى ولا نراك إلا لماما ؟!

عبد الناصر وتقاعس السوفييت بخصوص الأسلحة :

وفى اليوم التالى كلمنى الفريق محمد فوزى بأن أجهز نفسى للقاء الرئيس عبد الناصر الذى أعرب له عن عدم الارتياح لعربدة إسرائيل فى الأجواء المصرية ، فرد عليه بأن إمكانات قواته ضعيفة وليس فى استطاعتها مواجهة الطيران الإسرائيلى ، خاصة وأن الاتحاد السوفييتى لا يلبى طلباتنا فى هذا المجال ، فاغتاظ الرئيس عبد الناصر من مواقف السوفييت وأوضح له أنه سيسافر إلى موسكو لوضع حد لهذا التجاهل ، ولابد من التوصل إلى حل فى علاقاتنا مع موسكو . . «يا إما أبيض أو أسود» .

ولقد سافر الرئيس عبد الناصر، وحصل على الدعم العسكرى الذى أوقف هذه المهزلة الإسرائيلية، وبدأت قوات الدفاع الجوى فى بناء حائط الصواريخ الذى يعرفه جميع العسكريين.

القصة الثانية: أحداثها كانت قبل الحرب بعشرة أيام أو أكثر عندما اشتد الألم بزوجتى ولم تعد تتحمله، فأمر الرئيس الراحل أنور السادات بعلاجها فى الخارج، وأنا كنت أعلم أنها ستسافر والحرب ستبدأ، وخلال فترة العلاج علمت ببدء الحرب، فقطعت العلاج وذهبت إلى السفارة المصرية تطلب العودة للوقوف عن قرب منى. ساعتها كلمنى أشرف مروان وطلب منى عدم القلق، وسوف تعود الزوجة عن طريق ليبيا، وعادت بالفعل، لكنى ساعتها كان كل تفكيرى منصبا على تنفيذ مهام الحرب، أما موضوع الأسرة فلم يكن له مكان فى الذاكرة على الإطلاق.

معركة أكتوبر أكبر إنجاز لشعب مصر:

معركة أكتوبر حرب أسلحة مشتركة تضافرت فيها جميع الجهود فى ملحمة متناسقة أثناء التحضير والإعداد وأثناء مرحلة التنفيذ والأداء، ودائما نقول «السلاح أساس التكتيك، والتكتيك أساس الإستراتيجية، والإستراتيجية أساس الحرب، والحرب أداة من أدوات السياسة».

وفى معركة أكتوبر تم استثمار جميع هذه الأدوات بدءا من السياسة وانتهاء بالسلاح، وتم استخدامهم بكفاءة تامة حققنا فيها النصر باقتدار.

وأقول فى هذا السياق إن كل نصر له مقومات، ولكل نجاح ركائز، ومقومات النصر وركائز النجاح فى معركة أكتوبر من أهمها أربع ركائز: التنظيم الدقيق، والتخطيط الجيد، وإدارة أعمال القتال بكفاءة تامة، وأخيرا المقاتل الكفء، ولذلك فأنا أسمى كل ذلك رباعية النصر فى معركة أكتوبر.

وسوف أترك لضيوفنا فى الصالون طرفا من الحديث ليتحدثوا عن هذه الركائز، كلٌّ فى تخصصه سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، وعن النواحى العسكرية البحتة ليعطى شبابنا وللأجيال القادمة الدرس والعبرة، أتمنى من كل قلبى لشبابنا أن تكون معركة أكتوبر وإنجازاتها سراجا منيرا، وعليهم أن يدرسوها جيدا لأنها مليئة بالدروس والعبر ومازال العالم من حولنا يدرسها لأن فيها الكثير من الدروس التى لم نستوعبها بعد.

التنظيم الدقيق:

مازلت أذكر يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٩، وعلى وجه التحديد الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر عندما أخبرنى الفريق فوزى بالقرار الجمهورى الخاص بتعيينى قائدا لقوات الدفاع الجوى التى تقف فى شموخ إلى جانب القوات البرية والجوية والبحرية.

القوة الرابعة:

والمهم أننى توليت المسئولية فى هذه الظروف الصعبة وسرنا فى المشوار لوضع أول لبنة فى نصر أكتوبر التى ظهرت فيه القوة الرابعة فى

تشكيلات فرق، والفرق من لواءات وكتائب، ووزعت على جميع الأهداف الحيوية بما فيها القواعد الجوية والبحرية والبرية، وكانت القيادة والسيطرة والتوجيه والإنذار وقتها بالأسلوب الذى كنا نسميه «النصف آلى» وكانت هذه هى البداية السليمة لإثبات عملية التنظيم الدقيق.

على حد تعبير «ماكيافيلى» أستاذ علم السياسة الحديثة فى كتابه عن فن الحرب حينما قال: «التنظيم الدقيق يجعل الرجال أكثر جسارة فى حين أن الفوضى تصيب بالخوف أشجع القلوب»..

التخطيط الجيد:

من أهم أركان التخطيط الجيد ومن أبرزه بناء حائط الصواريخ، وتنظيم التعاون بين الدفاع الجوى وبين القوات الجوية، فى منطقه واحدة حول الجيوش البرية، وأيضا حول القواعد الجوية، وهذه كانت مشكلة ليس عندنا فقط بل فى جميع جيوش العالم التى لم تصل إلى حل لها.

وخلال هذه الفترة عقدت مع اللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية عدة جلسات وانتهينا منها بحل للمشكلة، ويمكن تطبيقها بأقل خسائر ممكنة، خسائر تقل عن الحد المسموح به فى التدريب.

وقد أثبت تنظيم التعاون بين الدفاع الجوى والقوات الجوية الذى توصلت إليه الجلسات مع اللواء حسنى مبارك أنه كان تنظيم تعاون ناجحًا جدا أثناء العمليات الفعلية، لدرجة أن رئيس الأركان البريطانى أشاد بتنظيم التعاون مع القوات الجوية، وذلك خلال دعوتى لزيارة

إنجلترا بعد الحرب لألقى محاضرة عن دور الدفاع الجوى فى الحرب والدروس المستفادة.

وتساءل رئيس الأركان البريطانى كيف أمكن لكم تنظيم هذا التعاون، وكانت لديكم غابة من الصواريخ وبأعداد هائلة حول القواعد الجوية وحول الأهداف الجوية، وكيف أمكن لكم تنظيم التعاون فى منطقة واحدة؟

وسوف أثبت لكم مدى النجاح الذى تحقق فى تنظيم التعاون، وذلك بعقد مقارنة بين حالتين، الأولى : حالة حلف الأطلنطى عام ١٩٧٤ عندما قام بمناورات الخريف والتى تم فيها إسقاط أكثر من ٦٠ طائرة صديقة، وذلك بشهادة رئيس اللجنة العسكرية للحلف.

الثانية : حدثت فى إبريل الماضى عندما ضرب الأمريكان - أصحاب التكنولوجيا المتقدمة - طائرتى هليوكوبتر أمريكيتين بواسطة طائرات من طراز أف ١٥ فوق العراق بمن فيهما من الأمريكيين، وهذا يدل بوضوح على مدى نجاح تنظيم التعاون الذى تم وضع قواعده بين القوات الجوية والدفاع الجوى المصرى.

كفاءة أعمال القتال:

فى صباح يوم ٦ أكتوبر بدأنا أعمالنا كالعادة ابتداء من طابور التنس الذى كنت متعودا عليه، وبعدها ذهبت إلى اللواء أحمد إسماعيل الذى كان قد طلبنى أنا واللواء حسنى مبارك لمعرفة حالة القوات، و طلب لنا القهوة التى لم نشربها لأننا كنا صائمين تقربا إلى الله لكى يجعل لنا من

أمرنا يسرا، وبعدها ذهبت إلى القيادة دون أن يلاحظ أحد من المعاونين معى أن العمليات ستبدأ اليوم، غير أن رجال العمليات كان لديهم إحساس بأن هناك شيئا سيحدث اليوم، وبداية من الساعة الواحدة ظهرا أمسكت الميكرفون وأعطيت الكلمة الكودية «جبار» وهذه الكلمة كانت تعنى الكثير.

وقبلها بيوم كنت قد بعثت بمظروف لقادة التشكيلات، ومكتوب على المظروف «لا يفتح إلا بمعرفة قادة التشكيلات شخصيا عند سماع الكلمة الكودية «جبار» وحينما سمعوها من المكبر فتحوا المظاريف فورا ووجدوا بداخلها خريطة للتشكيل ومواقعه وجدوله بتوقيعات الضربة الجوية ومواعيد خروجها ودخولها.. وقد تدربنا عليها مده طويلة، وهذا كان إيذانا ببدء دوران عجلة الحرب التى بدأت تتحرك ولا رجعة فيها.

وعند مجيء الساعة الثانية وأربع دقائق بدأت الطائرات تعبر القناة فى موجات ضمت ٢٢٧ طائرة، وبعد دقيقة بدأت المدفعية التمهيد النيرانى، ٤ آلاف مدفع استمرت فى الضرب لمدة ٣٥ دقيقة. بمعدل ١٧٥ دانة فى الثانية على خط بارليف ونقطه الحصينة.

وبداية من الساعة الثانية وعشرين دقيقة بدأت الموجات الأولى من المشاة فى عبور القناة فى الوقت الذى كانت الطائرات القاذفة تعود من الضربة الجوية بعد نجاحها وبعدما أفقدت العدو اتزانه، وكانت خسائرنا قليلة.

رد الفعل الإسرائيلى بعد ٤٠ دقيقة:

أما رد فعل الطيران الإسرائيلى فقد جاء بعد ٤٠ دقيقة من بداية

الحرب وأنا اعتبره رد فعل سريع لعدو تمت مفاجأته مفاجأة تامة . . فقد قام الطيران الإسرائيلى بهجمة جوية مركزة ضد تجمع الصواريخ فى الجبهة وضد القوات التى كانت تعبر على طول مواجهة القناة .

لقد استمرت الهجمة الجوية لمدة ساعتين فقد فيها العدو ١٨ طائرة حسب تقدير المصادر الغربية .

وقال أحد مراقبى الهدنة ، الذى تصادف وجوده عند أحد المعابر شرقى القناة : إن بين كل خمس طائرات تهاجم المعبر كان يدمر أو يصاب ثلاث طائرات . .

وقال أحد الطيارين الإسرائيليين الأسرى :

«لقد اهتزت معنوياتنا ولكنها لم تنكسر بعد» .

وإذا اهتزت المعنويات اهتز الأداء وكان الوقوع فى الأسر .

وإذا وضعنا فى الاعتبار أن العدو فى أول هجماته دائما يدفع بأحسن طياريه ، فذلك يعطينا تصورا عن مدى فداحة خسائر الطيران الإسرائيلى . الأمر الذى جعل قائد الطيران الإسرائيلى يعطى أمرا لطياريه فى حوالى الساعة الخامسة مساء بعدم الاقتراب من قناة السويس لمسافة ١٥ كم تجنبا لمزيد من الخسائر .

إلا أنه بعد حلول الظلام استأنف الطيران الإسرائيلى نشاطه بهجمات متفرقة ضد القوات التى نجحت فى اقتحام القناة وضد الكبارى والمعابر ، وباءت كلها بالفشل وبمزيد من الخسائر فى طائراته .

وتحت حماية حائط الصواريخ وبعد ٦ ساعات من القتال نجحت

قواتنا البرية فى إنهاء أسطورة خط «بارليف»حيث سقطت معظم دفاعاته ونقطه القوية . .

خلاصة القول أنه فى نهاية الأيام الثلاثة الأولى من القتال، ونتيجة للتعاون الوثيق بين المقاتلات وقوات الدفاع الجوى تم تدمير حوالى ٧٨ طائرة حسب تقدير المصادر الغربية . . أى بمعدل طائرة كل ساعة، وبذلك تم تحييد الطيران الإسرائيلى فوق جبهة القتال مما مكن قواتنا البرية من صد وتدمير ٦٤ هجمة مضادة فى المدة من ٦ إلى ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ .

وكان بين هذه الهجمات الهجمة المضادة الرئيسية التى قامت بها إسرائيل يوم الإثنين ثالث يوم قتال، وأطلقوا عليها الاسم الكودى «القبضة الحديدية»، حيث نجحت قواتنا فى تدمير القبضة الحديدية مما جعل الإسرائيليين يطلقون على هذا اليوم . . اليوم الأسود . . أو يوم الإثنين الحزين . .

لقد كانت إسرائيل تعول أهمية كبرى على عملية القبضة الحديدية واتضح ذلك من تصريحات رئيس الأركان الإسرائيلى «إيلى عازار» حيث قال بعد انتصارات المصريين يومى ٦ ، ٧ أكتوبر ٧٣ موجها كلامه للشعب الإسرائيلى :

«لا داعى للقلق . إن أحداث يومى ٦ ، ٧ هى فترة عابرة . . فسوف نلقى بالمصريين فى القناة مرة ثانية خلال ٢٤ ـ ٤٨ ساعة، بل سوف نسحق عظامهم» .

وعندما اتصل «كيسنجر» بـ«مائير» رئيسة وزراء إسرائيل لمعرفة نتائج الحرب وموقف إسرائيل بعد ٣ أيام قتال وعلم منها حجم الخسائر

الكبير . . حوالى ٣٠٠ دبابة ، أى دبابة كل ربع ساعة ، ٧٨ طائرة أى بواقع طائرة كل ساعة - ذعر كيسنجر ورد عليها :

«مسز مائير ! لقد خسرت الحرب . . » .

وبدأت أمريكا منذ يوم ٩ أكتوبر فى تنفيذ الجسر الجوى الأمريكى إلى العريش ، والذى وصل ذروته يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، وبلغت تكاليف النقل ٥ر٨٨ مليون دولار بخلاف ثمن الأسلحة والمعدات .

وقد قالت «مائير» عن الجسر الجوى الأمريكى :

«إن الشعب الإسرائيلى لا يمكنه أن ينسى أبدا تلك الطائرات الأمريكية التى أعادت له الحياة . . » .

الآثار الإستراتيجية لمعركة أكتوبر :

وانتقل المشير محمد على فهمى للحديث عن الآثار الإستراتيجية لمعركة أكتوبر فقال :

إن جميع الحروب الحديثة فى العالم - كما قال أحد المعلقين العسكريين الغربيين - أصبحت فى ذمة التاريخ عدا معركة أكتوبر ، فستظل فى ذاكرتنا نتدارسها لأعوام كثيرة قادمة لأنها غنية بالدروس التى لم نستوعبها بعد .

. . نعم لقد غيرت معركة أكتوبر الكثير من المفاهيم والنظريات العسكرية وتركت آثارها وبصماتها على المستويين الإستراتيجى والتكتيكى وعلى تطوير الأسلحة والمعدات وأساليب القتال عالميا ومحليا وهو مجال حديثنا اليوم .

ثم تساءل . . هل يمكن للدول الصغرى أن تخرج عن الخط الذى ترسمه لها القوى العظمى؟ وأجاب قائلا :

كلنا يعلم كيف أن القوتين العظميين توصلتا قبل معركة أكتوبر ١٩٧٣ إلى الوفاق العسكرى حتى يتجنبا المواجهة المباشرة فيما بينهما ، وفى هذا الإطار قررا فرض الاسترخاء العسكرى على منطقتنا وذلك على أساس أن أمريكا هى التى تعطى دائما الضوء الأخضر لتحركات إسرائيل ، وروسيا هى المصدر الوحيد للأسلحة الرئيسية لمصر وسوريا . .

وعلى هذا الأساس فإن روسيا أمسكت عن استكمال تسليحنا للعمليات الهجومية ، أو على حد التعبير الأمريكى هى التى تتحكم فى الصنبور Taps on Taps off كى تفرض علينا بطريق غير مباشر قرار القوتين العظميين الذى يفرض الاسترخاء العسكرى فى المنطقة . . ولكننا دخلنا حرب أكتوبر ضد إرادتهما ، وبذلك أثبتت معركة أكتوبر أن من يملك إرادته يملك قراره حتى إذا كان يعد من الدول الصغرى مثل مصر وسوريا . . الأمر الذى جعل الدول العظمى تراجع إستراتيجيتها فى المنطقة على ضوء المتغيرات التى أحدثتها معركة أكتوبر .

السياسة هى استمرار للحرب المحدودة لتحقيق النتائج النهائية :

التعريف القديم للإستراتيجية هو «فن استخدام القوات العسكرية من أجل تحقيق أهداف سياسية» .

وقد عبر «كلاوزفتز» عن ذلك بقوله : «إن الحرب هى استمرار للسياسة بوسائل أخرى» وقد كان الهدف المباشر السياسى لمعركة أكتوبر

هو إعداد القوات المسلحة لتحقيق النجاح فى عملية هجومية تكسر جمود الموقف السياسى.

وعلى ضوء ذلك تركت الأهداف العسكرية مرنة تسمح بالتصرف على ضوء الموقف على الجبهتين وظل الهدف السياسى الشامل Overall Political Aim هو استعادة الأراضى المحتلة.

أما الأهداف العسكرية فقد كانت مرنة لأن الخطة «بدر» على الجبهة المصرية كانت تقضى بالقيام باقتحام مدبّر للقناة، واحتلال خمسة رءوس شواطئ على الضفة الشرقية للقناة بعمق يتراوح بين ١٠، ١٥ كيلو مترا، وصد وتدمير الهجمات المضادة، وتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة. وكان على القوات المسلحة أن تكون مستعدة لتنفيذ مهام تالية على ضوء نجاح هذه المهمة، والعمليات الجارية على الجبهة السورية.

وواضح أن قواتنا كانت مستعدة للتطوير، لا كما يدعى بعض المؤرخين، أن القوات المسلحة لم تكن قادرة على ذلك حتى لا تخرج من مدى مظلة الصواريخ. وتصور هؤلاء المؤرخون أن هذه المظلة قد ثبتت فى الأرض، ولا يمكن تحريكها. والحقيقة أن الخطة كانت تنص على انتقالات يومية لكتائب الصواريخ المضادة للطائرات إلى شرق القناة، وذلك بعدد يتراوح بين ٨، ١٠ كتائب. وقبل تطوير الهجوم يوم ١٤ أكتوبر تم نقل ٩ كتائب للشرق يوم ١٢ أكتوبر لمد المظلة لحماية القوات القائمة بالتطوير. وبتنفيذ المهمة النهائية عند منطقة المضايق كان من المخطط أن تكون جميع لواءات الصواريخ المضادة للطائرات الموجودة غرب القناة قد انتقلت واحتلت مواقعها شرق القناة، عدا لواءين للدفاع عن المعابر وقوات الاحتياطى العام.

أما على الجبهة السورية فكانت الخطة تقضى بالقيام، كمرحلة أولى، باقتحام وتدمير العدو غربى الخط البنفسجى وخط إيقاف النيران، ومتابعة التقدم حتى خط الحدود الدولية لتحرير الجولان، مع الاستعداد كمرحلة تالية لتطوير الهجوم عبر نهر الأردن فى الجليل الشرقى.

وكانت إسرائيل على اقتناع بأن سوريا لن تقف عند خط الحدود، استنادا إلى أن القوات المسلحة السورية كانت تملك أعدادا كبيرة من الدبابات والمركبات البرمائية. وهذه القوة كانت تخيف إسرائيل لإدراكهم أن الجولان ليست قريبة من قلب إسرائيل فحسب، ولكنها داخل إسرائيل نفسها.

وعبر «ديان» عن ذلك فى مؤتمر صحفى يوم ٩ أكتوبر بوصف منطقة الجولان Chez Nous وقد قالها بالفرنسية (عندنا) فى حين كان يتحدث فى المؤتمر باللغة الإنجليزية.

ولقد كانت إسرائيل تعطى الجبهة السورية أسبقية عن الجبهة المصرية.

ولما كانت معركة أكتوبر تعتبر من الحروب المحدودة، لذا نرى أنها تميزت بميزات هذه الحرب وهى:

١ـ تؤدى الظروف العالمية والرأى العام العالمى وتدخل الدول الكبرى إلى تحديد وعدم انتشار الحرب المحدودة.

٢ـ لا يمكن أن تحقق الحرب المحدودة نتائج نهائية شاملة تنهى الموقف نتيجة للعامل السابق.

٣ـ نتيجة لتطور تكنولوجيا الحرب وارتفاع تكاليفها تتميز الحرب المحدودة بالسرعة والأعمال العسكرية الحاسمة. ولكنها لا تؤدى إلى

تحقيق الهدف السياسى الشامل المطلوب، وتصبح الحرب المحدودة لها أهداف محدودة.

وعلى ضوء ذلك إذا نظرنا إلى نتائج معركة أكتوبر نجد الآتى :

١ـ نجحت فى تحقيق الهدف السياسى المباشر وهو كسر جمود الموقف السياسى.

٢ـ نجحت فى تحرير جزء بسيط من الأرض على طول القناة شرقا بعمق حوالى ١٥ كم (عدا رأس الشاطئ المعاكس للعدو داخل أراضينا عند الدفرسوار)، وبذا لم تحقق الحرب نتائج نهائية شاملة تحقق الهدف السياسى الشامل المطلوب.

٣ـ لم يتم تحقيق الهدف السياسى الشامل باستعادة الأراضى المحتلة إلا بالجهود السياسية (اتفاقية «كامب ديفيد» ثم أخيرا ما أسفر عنه التحكيم بعودة طابا مصرية).

وعلى هذا فإذا كان «كلاوزفتز» قال، «إن الحرب هى استمرار للسياسة بوسائل أخرى» فإن معركة أكتوبر قد أضافت إلى هذه المقولة :

«. . والسياسة هى استمرار للحرب المحدودة لتحقيق الأهداف النهائية».

فبالحرب تم تحرير جزء من الأرض وكسر الجمود السياسى لقضيتنا وتم استثمار نصر أكتوبر بجهود سياسية تم عن طريقها تحرير باقى الأرض المحتلة وفتح قناة السويس للملاحة الدولية . . وكان فى ذلك أبلغ رد على الذين تعجلوا وقالوا عن معركة أكتوبر فور انتهائها : إنها حرب تحريك وليست حرب تحرير.

والذين قالوا بعد ذلك : إن قيادتنا السياسية أجهضت نصر أكتوبر العسكرى . .

حرب أكتوبر هدمت نظرية الأمن الإسرائيلى وأهدرت فكرة الحرب الوقائية:

بنيت نظرية «الأمن الإسرائيلى» على الأسس الآتية :

١ـ الحدود الآمنة : وذلك باحتلال أكبر قدر من أراضى الدول المجاورة لتعمل كمناطق مخفف صدمة Buffer area فى أى صراع مسلح بينها وبين العرب ، كما توفر لها عمق الإنذار الكافى لرفع درجة استعداد القوات واستدعاء الاحتياطى العام .

٢ـ القدرة على الردع : وذلك بالاعتماد الكامل على التفوق الجوى ، والضربات المركزة بالقوات المدرعة ، ونقل مسرح العمليات إلى أرض العدو تحت ستار ما أسمته بالحرب الوقائية .

٣ـ مواجهة العرب فرادى : لاقتناع إسرائيل بعدم إمكان تنسيق هجوم عربى على أكثر من جبهة .

٤ـ الحرب القصيرة أو الخاطفة : وذلك لتحقيق نتائج سريعة قبل أن تتدخل الدول الكبرى والرأى العام العالمى .

٥ـ مؤازرة دولة عظمى (وهى أمريكا حاليا) .

وجاءت معركة أكتوبر..

١ ـ فعبرنا القناة، أكبر مانع مائى عُرِفَ فى التاريخ .

٢ ـ ودمرنا خط بارليف المنيع .

٣ ـ وكانت المفاجأة بحيث لم تتمكن إسرائيل من استدعاء احتياطيها فى الوقت المناسب للتدخل فى المعركة ومنع قواتنا من التدفق عبر القناة .

٤ ـ وحققنا أكبر قدر من الخسائر فى طائرات العدو ومدرعاته .

٥ ـ وتم هجومنا من الجبهة المصرية فى توقيت واحد مع الجبهة السورية .

٦ ـ وامتدت الحرب من ٦ أكتوبر إلى ٢٨ أكتوبر يوم وقف إطلاق النيران الفعلى .

. . وباختصار لقد حطمنا نظرية الأمن الإسرائيلى، تلك النظرية التى تذكرنا بالنظرية الجيوبوليتكية الألمانية، نظرية «المجال الحيوى» التى كان هتلر يتبناها، والتى بنى على أساسها توسعاته على حساب جيرانه وانتهت به إلى الهزيمة والدمار .

كذا نظرية «الريملاند» Rim land الأمريكية والتى انتهت بهزيمة الغرب فى جنوب شرقى آسيا فى «كوريا» و«فيتنام» و «ديان» و«بيان فو»

. . وبذلك يمكننا باختصار شديد أن نقول :

لقد انتصرت إسرائيل فى عام ١٩٦٧ من حدود اعتبرتها غير آمنة وهزمت فى أكتوبر ١٩٧٣ من خطوط اعتبرتها آمنة . .

حطمت معركة أكتوبر نظرية الدفاعات الثابتة المحصنة :

لقد أثبتت الحرب العالمية الثانية أن خطوط الدفاع المحصنة الثابتة من السهل تطويقها والتغلب عليها كما فعل الألمان مع «خط ماجينو» حيث أمكن لهم بحركة التفاف واسعة سريعة تحطيم الخط والاستيلاء عليه .

وقد طورت إسرائيل الفكرة نتيجة خبرة الحرب العالمية ، فأنشأت «خط بارليف» الذى يستند على مانع مائى كبير ويرتكز على ٣١ نقطة قوية ، ٢٢ موقعا محصنا ومن خلفه احتياطى مدرع خفيف لصد وتدمير الاختراقات والتعامل معها إلى أن يتم تعبئة الاحتياطى العام الذى يقوم بالهجمات المضادة واستغلال النجاح لتدمير أى قوات كبيرة تنجح فى الوصول إلى «خط بارليف» وتحصيناته .

ولكن دقة التخطيط المصرى وتنفيذ العبور واقتحام «خط بارليف» على طول المواجهة بهجوم أمامى مع محاصرة النقط القوية واستمرار التقدم - جعل الخط الحصين ينهار فى ساعات ليدل على منتهى الجسارة والكفاءة القتالية للمقاتل المصرى .

لقد حطمنا نظرية الدفاعات الثابتة المحصنة حتى لو كانت تستند على مانع مائى قوى .

حطمت معركة أكتوبر نظرية النوع ضد الكم :

لقد بنت إسرائيل إستراتيجيتها وخططها على نظرية النوع الإسرائيلى المتفوق ضد الكم العربى المتخلف ، ولذلك بنت خططها على أساس الاحتفاظ بقوات جوية متفوقة :

تكون كعامل ردع رئيسى لجيرانها من العرب بكثرتهم العددية ، كذا يمكنها من نقل المعركة بسهولة إلى أراضى العدو والدفاع عن إسرائيل كما قال «ديان» فوق سماء «القاهرة» و«دمشق» .

لا يمكن انتزاع السيادة الجوية منها إلا بالاحتفاظ بقوات جوية أكبر ومسلحة ومدربة أحسن وقادرة على استعواض خسائرها أولا بأول ، الأمر الذى يعتبر باهظ التكاليف وخارج عن قدرة أى دولة عربية بدون معاونة فعالة من دولة عظمى تعطى بغير حساب كما تعطى أمريكا إسرائيل .

تعمل مع قوات دفاع جوى صاروخية مدعمة بعناصر الحرب الإلكترونية المتطورة ، وهو أمر أيضا باهظ التكاليف .

وحتى لو توافر المال فلا يمكن أن يتوافر الفرد القادر عل التعامل مع هذه المعدات الإلكترونية المعقدة استخداما وإصلاحا .

هذا الفرد فى تصور إسرائيل غير متوافر لدى الكم العربى المتخلف . . حتى المستشارون السوفييت ، كانوا على اقتناع بأنه لا يزال أمام مصر ١٠ سنوات كى تستطيع القيام بعمليات هجومية ضد إسرائيل .

وهذا ما قاله لى كبير الخبراء السوفييت خلال لقاء تم بيننا يوم ٢٧ يوليو عام ١٩٧٢ ، وعقب قرار الاستغناء عن المستشارين السوفييت وإبعادهم عن مصر[١] .

---

(١) أقدم السادات بجسارة ، وتحت ضغوط القوات المسلحة ممثلة فى قادتها ، وعلى رأسهم وزير الحربية وقتذاك على اتخاذ قرار إبعاد السوفييت يوم ٨ يوليو ١٩٧٢ . وبهذا أنهى وجودا عسكريا كان بمثابة احتلال روسى لمصر .

وجاءت معركة أكتوبر :

فأمكن لقوات الدفاع الجوى فى الأيام الأولى للحرب تدمير الجزء الأكبر من القوات الجوية الإسرائيلية وبتر الذراع الطويلة لها ، حيث كانت تفقد طائرة كل ساعة حسب الدراسة التى نشرها معهد «ستوكهولم» الدولى للسلام وحسب تقرير لأحد مراقبى هيئة الأمم المتحدة الذين كانوا موجودين بالقرب من المعابر «أن بين كل ثلاث طائرات كانت إسرائيل تفقد طائرة » . .

وفى نهاية القتال كان تقدير خسائر إسرائيل - حسب أقوال الأسرى - حوالى ١٣٠ طائرة وحسب تقديرنا وبلاغاتنا حوالى ١٥٠ طائرة .

بينما كان تقدير الغرب لإجمالى خسائر الطيران الإسرائيلى على الجبهتين ١٨٠ طائرة والتقدير الشرقى حوالى ٢٠٠ طائرة .

. . وأيا كانت هذه التقديرات ومدى صحتها فكلها تشير إلى كبر وعظم الخسائر التى منيت بها القوات الجوية الإسرائيلية .

أثبت مقاتل الدفاع الجوى كفاءة عالية فى التخطيط وإدارة أعمال القتال على جميع المستويات ، كما أثبت كفاءته التى أشاد بها الجميع فى استخدام وصيانة وإصلاح المعدات الصاروخية والإلكترونية الحديثة المعقدة تحت جميع ظروف الحرب القاسية .

. . لقد كان مقاتل الدفاع الجوى وكفاءته عنصرين أساسيين فى مفاجأة العدو . وقد قال «ديان» فى كتاب «عيد الغفران» : «كان جيش إسرائيل يعلم بوجود الصواريخ مع القوات المصرية ، ولكن استعمال

جيش مصرى مدرب لهذه الأسلحة بكثافة وكفاءة ذلك كان عنصر الدهشة . . ».

وقد قال «ديان» فى رابع أيام الحرب ، وفى مجال تحديده للمصاعب والمشاكل التى تواجه القوات الإسرائيلية :

«وثمة مشكلة أخرى تواجه طيراننا ، فهو عاجز عن اختراق شبكات الصواريخ المضادة فى مصر وسوريا دون أن يصاب بخسائر فادحة » .

وما قيل عن الدفاع الجوى ينصب على باقى الأفرع الرئيسية والأسلحة التى شاركت فى معركة أكتوبر ١٩٧٣ فنصر أكتوبر العظيم حققته جميع القوات فى تعاون تام ، ولم يكن النصر معقودا لقوة دون أخرى أو لسلاح دون آخر ، فهى معركة أسلحة مشتركة .

إن إطلاق إسرائيل لقمرها الصناعى الأخير - علاوة على ما سيحققه ذلك لها من ميزات عسكرية - فإنه محاولة منها لإحياء موضوع «الثغرة التكنولوجية» الموجودة بيننا وبينهم - وهى فرع من نظرية الكم والنوع - ويمكن استقراء ذلك من تعليق «شيمون بيريز» على هذا الحدث بأنه «مجرد تكنولوجيا وليس له أغراض عسكرية » .

ولكن يبدو أن إسرائيل لم تع درس أكتوبر جيدا . . فإن إطلاق مصر لقمر صناعى ليس بالأمر العسير ، كما أن امتلاك مصر للوسائل المضادة للأقمار الصناعية العسكرية أمر وارد . .

. . وهكذا يمكن إن نقول أن معركة أكتوبر قد اقتلعت نظرية «النوع ضد الكم» الإسرائيلية من جذورها .

ظاهرة علينا أن نتعامل معها..

عندما كنا ندرس العقيدة الغربية، كان أول بند فى تقدير الموقف هو «الغرض» حيث كان ينص فيه على تدمير قوات العدو، أما احتلال الأرض والهيئات فهى «هدف» يوصل إلى تحقيق الغرض.

وفى معركة أكتوبر بعد معارك ثالث يوم قتال أو يوم «الإثنين الحزين» كما أطلق عليه الإسرائيليون ـ كانت إسرائيل قد خسرت جزءا كبيرا من قواتها المسلحة وخاصة فى الدبابات والطيران، لدرجة أن «كيسنجر» فى مكالمة تليفونية مع «مائير» عندما أخبرته بخسائرها هذه رد عليها: «مسز مائير! لقد خسرت الحرب..».

هذا فى الوقت الذى كانت فيه القيادة العسكرية الإسرائيلية قد فقدت توازنها تماما واقتربت من نقطة الانهيار.. ولا يمكن أن ننسى كيف عاد «ديان» من زيارته الخاطفة فى صباح يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ لكل من الجبهة المصرية والجبهة السورية وتوجه مسرعا إلى «تل أبيب» حيث اجتمع مع «مائير» وقال لها «جولدا.. لقد كنت مخطئا فى كل شىء، نحن نتجه نحو كارثة.. علينا أن ننسحب من مرتفعات الجولان حتى الحافة المشرفة على الوادى، وفى الجنوب من سيناء حتى المضايق، ونقاتل هناك لآخر طلقة ولآخر رجل».

وباختصار شديد فإنه عقب يوم ٨ أكتوبر كان «الغرض» وهو تدمير قوات العدو ـ قد أوشك تحقيقه؛ لأن معدل الخسائر كان عاليا جدا ـ دبابة كل ربع ساعة وطائرة كل ساعة تقريبا ـ لولا أن هرعت أمريكا إلى مساندة إسرائيل مساندة عسكرية سريعة باستعواض خسائرها بالجسر الجوى المعروف وبمعدلات لم يسبق لها مثيل، كما أمدتها بالمعلومات اللازمة

لعملياتها العسكرية عن طريق الأقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع الأسرع من الصوت SR 71 هذا فى الوقت الذى اقتصر فيه إمداد روسيا لنا على بعض المعدات وقطع الغيار استكمالا لبعض العقود المبرمة قبل الحرب وحل موعد تنفيذها، واقتصرت إمكانات القائد العام أحمد إسماعيل فى الاستطلاع على وسائل تقليدية إمكاناتها محدودة . .

ومن هنا يبرز لنا أن معركة أكتوبر أثبتت أن لا الغرب ولا الشرق يسمح بتدمير القوات المسلحة الإسرائيلية، ومن وجهة نظرهما فإن إسرائيل وجدت لتبقى، وعلى ذلك فإستراتيجية العرب يجب أن تبنى على أساس أن وجود إسرائيل لا يكون على حساب جيرانها أو على حساب الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

اهتزاز هيبة إسرائيل العسكرية..
وأثر ذلك على إستراتيجية أمريكا بالمنطقة..

قال أحد الكتاب العسكريين فى الغرب : «يبدو أن الهدف الإسرائيلى ـ الأمريكى من وراء الجيب كان معنويا أكثر منه عسكريا» .

لأن موقف الجيب عسكريا كان هشّا فإن الممر المؤدى إلى قوات الجيب يمر بين قوات الجيشين الثانى والثالث وهو أشبه «بالحبل السرى» من السهل قطعه بعملية منسقة بين الجيشين، وبعد ذلك يتم عزل قوات الجيب وتصفيتها .

وقد تأكد ذلك عندما قال «كيسنجر» للسادات، «لن نسمح للسلاح السوفييتى أن يتفوق على السلاح الأمريكى» .

أى أن هدف أمريكا كان الحفاظ على هيبتها وهيبة السلاح الأمريكى وهيبة رجل الشرطة الذى يعمل لحسابها فى المنطقة وهو إسرائيل .

ولكن نصر أكتوبر العظيم والخسائر الكبيرة التى لحقت بإسرائيل وخاصة فى قواتها الجوية (ذراع إسرائيل الطويلة) التى كانت تعربد فى المنطقة ، وكذا فى الدبابات العنصر الرئيسى لقوات جيش الدفاع الإسرائيلى - أفقد إسرائيل الكثير من هيبتها .

* أما خسائر إسرائيل فى الأفراد فتعد جسيمة قياسا بعدد سكانها . فخلال ٢٢ يوم قتال : فاقت خسارة إسرائيل فى الأفراد حجم الخسارة الأمريكية فى حرب فيتنام التى استمرت ١٠ سنوات تقريبا ، هذا إذا وضعنا نسبة الخسارة إلى عدد السكان فى كلا البلدين فى الاعتبار .

وبالنسبة نفسها ، فإن الخسارة الإسرائيلية فى الأفراد تمثل خمسة أمثال خسارة مصر فى معركة أكتوبر ١٩٧٣ .

هذا الحجم الكبير من الخسارة جعل أمريكا تعيد حساباتها فى المنطقة .

وفى هذا السبيل ركزت الولايات المتحدة فى تحركها على دعم الدور الإقليمى لبعض الدول العربية ، وذلك بجانب خطها الإستراتيجى فى دعم إسرائيل والحفاظ على قوتها وأمنها .

مراجعة أمريكا لعلاقتها المتميزة مع إسرائيل حتى لا تتعارض مع علاقاتها بالدول العربية المعتدلة بالمنطقة .

إستراتيجية مصر بعد معركة أكتوبر.. إستراتيجية الردع..

من المعروف عن معركة أكتوبر ١٩٧٣ أن إسرائيل خسرت الحرب ،

لأنها فشلت فى التنبؤ بنية مصر وسوريا، وفوجئت بقواتهما وهى تهاجم.. وأن الذى عزز هذا المفهوم لديها أنه لم يكن بإمكانها عمل شىء، إذ لم تكن لديها الاستعدادات الكافية للقيام بضربة وقائية، والدليل على ذلك ما قاله ديان: «إن إسرائيل كانت غير مستعدة تكنولوجيا لأن تقوم بضربة جوية ضد قوات الدفاع الجوى المنتشرة فى الجبهة، وحول جميع الأهداف الحيوية والمطارات المصرية والسورية».

... وهكذا أثبتت معركة أكتوبر أن الاستعداد للحرب يمنع الحرب، وهى الإستراتيجية التى تتبناها مصر الآن باسم إستراتيجية الردع..

إستراتيجية تنويع مصادر السلاح..

نتيجة لمعركة أكتوبر ظهرت أهمية عدم الاعتماد الكلى على مصدر واحد للسلاح؛ لخطورة ذلك فى الأوقات الحرجة التى تستدعى سرعة استعواض الخسائر، خاصة وأن حرب الصواريخ الحديثة خسائرها كبيرة، وسرعة الإمداد بقطع الغيار، بل ببعض القطع الكاملة من الأسلحة والمعدات الرئيسية مثل الطائرة والدبابة - أمر حيوى وله أهميته..

إن تنويع مصادر السلاح يعطى حرية الحركة فى الحصول على السلاح من أكثر من مصدر، حتى إذا ظهرت أى قيود على الإمداد بالسلاح من مصدر لسبب أو لآخر قبل وأثناء العمليات، أمكن الحصول عليه من مصدر آخر.. وكى أضرب مثلا على ذلك أسوق المثل الآتى:

أثناء معركة أكتوبر حصل عطل فى كتيبة صواريخ سام ٦، تتطلب

تغيير غطاء «دليل الموجه» لأنه حدث به شرخ وطلبنا سرعة إمدادنا به من الاتحاد السوفييتي، ولكنه لم يصل فحاولنا تصنيعه بسرعة، ولكننا فشلنا، لعدم توافر المادة المصنع منها الغطاء محليا، وهي مادة «التفلون» فطلبناها من الخارج. . ووصلت المادة وتم التصنيع محليا، ولكن بعد وقف إطلاق النار. . أي بعد فوات الأوان. . والطريف أن نبأ تصنيع الغطاء كان قد تسرب إلى السوفييت فوجدنا قطعة الغيار السوفييتية مرسلة مع بعض قطع الغيار المرسلة استكمالا لعقود مبرمة من قبل.

ولكن حتى تنويع مصادر السلاح فإنه لا يؤمن وصول الاحتياجات في الوقت المطلوب، خاصة وأن عملية النقل الجوي معقدة وتأخذ بعض الوقت، ولذا فإن إستراتيجية تنويع مصادر السلاح يجب أن يساندها تصنيع محلي لبعض أنواع الأسلحة والذخائر الأكثر استهلاكا في الحرب. . وكلما توسعنا في مجال التصنيع محليا كان ذلك أفضل لتأمين إستراتيجية قواتنا المسلحة. . والتعاون المصري العربي في هذا المجال تكون له ولا شك نتائجه الإيجابية السريعة في هذه الناحية.

مخزون البترول الإستراتيجي للغرب يلعب دورا في معركة أكتوبر..

لم يصل العرب إلى موقف موحد لاستخدام سلاح البترول إلا يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣، حينما اتخذوا قرارا جماعيا بتخفيض إنتاج البترول الذي تحصل عليه الدول الأوروبية.

وعندما أعلنت أمريكا يوم ٢٠ أكتوبر عن دعم إسرائيل بـ ٢ مليار دولار لتمويل الجسر الجوي الأمريكي، أعلنت الدول العربية إيقاف

إمداد أمريكا بالبترول . . ومن المستلفت للنظر أن دول أوروبا الغربية رفضت أن تزود طائرات الجسر الجوى الأمريكى بالوقود فى مطاراتها فيما عدا البرتغال .

والآن على دول «الأوبيك» أن تبقى على احترام الغرب لبترول العرب ، وذلك بأن تلتزم بقانون العرض والطلب . . بل يجب أن يكون العرض دائما أقل من مستوى الطلب ، حتى لا يفقد بترول العرب هيبته كسلاح فى أيديهم وقت اللزوم . . وحتى يحافظوا على المخزون تحت الأرض لأطول فترة ممكنة .

لقد لعب بترول العرب ، وهو الذى يعتبره الغرب مخزن البترول الإستراتيجى لهم ، دورا فى معركة أكتوبر ، فعندما اندلعت الحرب اتخذ العرب قرارا جماعيا بوقف إمداد الغرب بالبترول العربى ، مما أثر على :

* الرأى العام فى الغرب بالنسبة للحرب وضرورة العمل على سرعة إيقاف النيران لرفع الحظر عن البترول .
* المخزون الإستراتيجى المحلى لبترول الغرب ، مما حدا بهم إلى التفكير فى ضرورة العمل على زيادته مع البحث عن بدائل للطاقة تحسبا لأى موقف مماثل فى المستقبل .

كان من آثار الحظر :

* ارتفاع سعر برميل البترول عشرات من الدولارات ، وحقق العرب من وراء ذلك مكاسب طائلة[1] .

---

(١) ارتفع سعر البرميل من ٣ دولارات تقريبا للبرميل إلى أكثر من ٤٠ دولارا للبرميل ، خلال فترة زمنية قصيرة .

* أبرز للغرب أهمية مصادر البترول العربية بالنسبة لهم، وضرورة الحفاظ عليها بعيدة عن أى صراعات قد تؤثر على تدفق البترول إلى الغرب وقد أثبت ذلك سرعة تدخل أمريكا وإنجلترا وفرنسا بقطعها البحرية فى حرب الخليج الأولى لتأمين سلامة مصادر البترول فى الخليج.

العلاقة الصحيحة بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية:

كان الصراع بين القيادتين السياسية والعسكرية قبل معركة ١٩٦٧ سببا رئيسيا فى نكبة ٥ يونيو ١٩٦٧.

ونتيجة لذلك صدر قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم (٤) لسنة ١٩٦٨ بشأن القيادة والسيطرة على شئون الدفاع عن الدولة وعلى القوات المسلحة، وحدد العلاقة بين القيادتين والصلاحيات والمهام للقيادات والقادة، وبذا استقامت الأمور.

.. حتى جاءت معركة أكتوبر ١٩٧٣ فكانت العلاقة الصحيحة بين القيادتين هى حجر الزاوية فى الإعداد الصحيح للحرب ثم فى تحقيق نصر أكتوبر العظيم.

أثر معركة أكتوبر على تطوير أساليب القتال عالميا ومحليا:

أولا: أثرها على أساليب القتال عالميا:

١ - أكدت معركة أكتوبر أنه فى الإمكان تحقيق المفاجأة فى الأراضى الصحراوية رغم التطور الهائل فى وسائل الاستطلاع.

٢ - أبرزت أهمية الإنذار المبكر وتحليل وتقييم معلوماته مع إيجاد القوات المستعدة دائما للاستفادة به .

٣ - أكدت عدم إمكان تحقيق السيادة الجوية حتى لو كانت القوات الجوية لأحد الطرفين متفوقة نوعيا وعدديا على الطرف الآخر ما دام هناك نظام دفاع جوى مضاد .

٤ - أثبتت تضخم دور الصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات فى الحرب الحديثة .

٥ - أثبتت أن الحرب المحدودة فى العصر الحديث أصبحت باهظة التكاليف وفادحة الخسائر فى الأفراد والمعدات، مما يتطلب إعادة النظر فى معدلات الاستهلاك وبالتالى مستوى الاحتياطيات[١] .

٦ - أبرزت الدور الرئيسى للحرب الإلكترونية فى أى معركة قادمة .

٧ - أثبتت أن معركة الأسلحة المشتركة فى الحرب الحديثة تتسم باتساع مسرح العمليات مع سرعة فى تطور المعركة، مما يستدعى تحديث نظم القيادة والسيطرة وجعلها آلية بالكامل، مع استخدام الأسلحة ذات نظم قيادة النيران الآلية مثل القنابل التى تعمل بالليزر أو بالكاميرا التليفزيونية Smart Bomb (القنابل الباحثة عن الدبابات والصواريخ التى تقرأ الخرائط والمدافع التى تلتقط أهدافها) وباختصار ميدان معركة آلى Automated Battiefield .

٨ - أثبتت أن الدفاع مهما كان حصينا سوف يظل عرضة للاختراق والتدمير .

---

(١) خسرت إسرائيل التى كان يبلغ عدد سكانها وقتذاك أقل من ٣ ملايين نسمة خلال ٣ أسابيع قتال عددا من الدبابات يفوق العدد الذى تنتجه أمريكا من الدبابات فى عام.

٩ ـ أثبتت تعاظم دور الوسائل الحديثة لنقل القوات (برا وبحرا وجوا) .

١٠ ـ كما أثبتت أن النصر أولا وأخيرا يرجع إلى الفرد المؤمن بهدفه وعدالة قضيته .

ثانيا : أثرها محليا بالنسبة لإسرائيل :

١ ـ اقتناع إسرائيل بأنه يجب أن تكون إمكانات الخصم وقدراته الحقيقية هى أساس التخطيط العسكرى وليس فقط اتجاهاته ونواياه الظاهرة .

٢ ـ تخزين الأسلحة والمعدات الاحتياطية كالدبابات وحاملات الأفراد المدرعة فى درجة استعداد أعلى ، وبالقرب منها وقودها وذخيرتها بدلا من تخزينها فى مخازن منفصلة كما كان متبعا من قبل ، مع ضرورة تمركز الاحتياطيات المناسبة .

٣ ـ زيادة حجم القوات المسلحة الإسرائيلية (تقرير المعهد الدولى للدراسات الإستراتيجية بلندن) بحيث يمكن الوصول بها عقب التعبئة العامة إلى ٤٠٠ر٠٠٠ فرد مقابل ٣٠٠ر٠٠٠ فرد فى عام ١٩٧٣ . وزيادة عدد الدبابات من ١٧٠٠ إلى ٢٧٠٠ دبابة ، كذا زيادة عدد طائراتها لمواجهة الزيادة فى حجم طائرات دول الجوار العربية كما حصلت من أمريكا على الصاروخ أرض/ أرض من طراز بيرشنج .

٤ ـ الاهتمام بأسلحة ومعدات الخمد للمساعدة فى التغلب على أنظمة الصواريخ سام .

٥ - الدخـــول مع أمــريكا فى برنامج الصــواريخ المضـــادة للصـــواريخ أرض/ أرض بعيدة المدى[١] .

٦ - إطلاق القمـر الصناعى أفق ١[٢] حتى يكون لهـا مـصدرها الخـاص للاستطلاع بدلا من اعتمادها على أمريكا ، كما يمكن فيـما بعد إطلاق قـمـر صناعى للإنذار عن الصـواريخ أرض / أرض بعـيـدة المدى أثناء الإطلاق[٣] .

ومـادمنـا بصـدد الأقـمـار الصناعيـة وقـدراتهـا العسكرية فـإننى أود أن أوضح المعلومة التالية :

١- الأقـمـار الصناعـيـة العـسكرية الحـاليـة إمـا للاسـتطلاع أو للإنذار المبكر . والاستطلاع يكون بالصـور أو استطلاع إلكتـرونى ، وأقـمـار الإنذار المبكر تحلق على ارتفـاعـات شـاهقـة تزيد على ٣٠٠٠٠ كم وتبـقى فى الفـضـاء مـدة أطول من أقـمـار الاسـتطلاع التى تحلق على ارتفـاع ١٥٠ إلى ٢٠٠ كـم وهى تسـتخـدم الأشـعة فـوق الحـمراء فى متابعة إطلاق الصواريخ أرض/ أرض البعيدة المدى بمجرد إطلاقها .

٢- فى عام ١٩٧٣ أطلقت أمريكا خمسة أقمار سجلت التفجيرات الذرية الفرنسية والصينية ، كما صورت معركة أكتوبر حيث استفادت منها إسرائيل استفادة كاملة .

---

(١) عقدت الدولتان اتفاقا إستراتيجيا ، كما سمحت الولايات المتحدة لإسرائيل بالمشاركة فى إنتاج بعض احتياجات مبادرة الدفاع الإستراتيجى S.D.I

(٢) أطلقت فيما بعد أفق ٢ ، وعملت على تطوير أسلحتها الفضائية .

(٣) أنتـجت إسرائيل وطورت صاروخـا مضـادا للصواريخ ، أطلقت عليـه إسم حيتس أى السهـم ، وحتى الآن أنتجت حيتس ١ ، حيتس ٢ .

بينما أطلق السوفييت قبل معركة أكتوبر وأثنائها وبعدها ٩ أقمار طراز «كوزموس» فى الأيام ٣ ، ٦ ، ١٠ ولم تستفد منها مصر أى شىء قبل أو أثناء الحرب .

٣ـ والأقمار السوفييتية تختلف عن الأمريكية فهى تصور بدقة أكبر مساحات أقل ، وعمره فى الفضاء أقل .

وبالرغم من أن أمريكا وإسرائيل شاهدا تحضيرات الهجوم بالأقمار الصناعية ولكنهما لم يفهما . . هكذا قال المعلقون العسكريون فى الغرب .

ثالثا : أثرها محليا بالنسبة لنا :

١ ـ عودة الثقة للجندى ، والضابط ، والقائد ، والمخطط المصرى .

٢ ـ الخبرات العديدة المكتسبة فى أول مواجهة فعلية مع العدو الإسرائيلى .

٣ـ الاعتماد على الفرد قبل السلاح .

٤ ـ «المبادأة» و «المفاجأة» من أهم عوامل النصر .

٥ ـ مبدأ «أمن وسلامة القوات» مهم ولكن يجب عدم المبالغة فى تطبيقه .

٦ ـ أهمية التنسيق والتعاون بين مختلف الأسلحة وخاصة بين القوات الجوية والدفاع الجوى .

٧ـ أهمية التدريب والإعداد الجيد للأفراد ولمسرح العمليات.

٨ـ أهمية التخطيط العلمى السليم الدقيق.

٩ ـ أهمية تنويع مصادر السلاح وإقامة الصناعات الحربية المصرية لتجنيب القوات المسلحة التعرض للقيود والاختناقات التى تفرضها الدول المصدرة للأسلحة.

١٠ـ هذا فضلا عن الآثار العسكرية الفنية الأخرى التى دعت إلى تطوير قواتنا المسلحة فى اتجاهات معينة، والتى قامت ولا زالت تقوم بها قواتنا المسلحة بخطوات واسعة مبنية على النواحى العلمية والخبرات المكتسبة.

هذا من الوجهة العسكرية أما من الوجهة السياسية والاقتصادية والمعنوية.. إلخ فمجالاتها وآثارها معروفة ومتعددة.

وبعد ذلك ترك المشير محمد على فهمى الكلمة للسادة الضيوف لمن يريد أن يتحدث عن مقومات النصر وركائز النجاح فى معركة أكتوبر، ولنبدأ بالسياسة.

دور السياسة فى الحرب:

أشار المشير فهمى إلى الضيوف للحديث عن السياسة، التى قال عنها بأن لها دورا بارزا فى معركة أكتوبر.. وهذا الدور كان قبل الحرب وبعدها، وأضاف أن حافظ إسماعيل كان له دور بارز فى السياسة قبل الحرب وأثناءها، وهو من مدة لم يسمع حافظ إسماعيل وجها لوجه منذ أيام ١٩٥١ عندما كان تلميذا له فى الأكاديمية العسكرية.

حافظ إسماعيل : استعرض حافظ إسماعيل فى حديثه الدور الذى لعبته السياسة المصرية قبل الحرب وأثناءها وبعدها، بداية من قرار الرئيس الراحل أنور السادات بطرد جميع الخبراء الروس، وانتهاء بالمفاوضات التى أجراها مع كيسنجر والرئيس الأمريكى نيكسون لوضع صياغة التسوية، والتى ركزت على موضوع السيادة لمصر والأمن لإسرائيل.

وأشار حافظ إسماعيل إلى أن الرئيس السادات كان يتصور أنه يتعامل مع القوتين العظميين معاملة متساوية، فيأخذ من السوفييت السلاح، ويأخذ من أمريكا التسوية..

وقال إن فشل موسكو وواشنطن فى مؤتمر القمة الذى عقد بينهما لهذا الغرض فى التوصل إلى تسوية ـ جعل الدخول فى حرب مع إسرائيل أمرا حتميا..

السفير عبدالرؤوف الريدى: أشكركم وأشكر سيادة المشير على هذا العرض المستفيض الذى قدمه وكأنه يرسم بريشة فنان.. نقطة انطلاق مصر من حالة اليأس إلى الحياة الحرة لشعبنا.

ولقد كان دورنا فى وزارة الخارجية هو الإعداد السياسى والاعلامى للمعركة.. كما كان لى شرف تحضير البيان الذى أعلن فى الجمعية العامة للأمم المتحدة عن العبور.. بتكليف من الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية فى ذلك الحين.

ولقد كان أعظم وأهم بيان قمت بتحضيره طوال حياتى العملية.

د.محسن عبد الخالق:[1] أعرب عن أسفه للهجوم الذى تتعرض له

---

(١) من ضباط المدفعية وسفير مصر الأسبق باليابان.

معركة أكتوبر ، وخاصة ما أشيع بأن هذه الحرب كانت عبارة عن سيناريو متفق عليه مع أمريكا ؛ لأن القوات المصرية لم تحاول التقدم إلى الممرات .

ويؤكد أن معركة عام ١٩٧٣ كان لها الفضل الكبير لتحريك القضية ، وبدونها فلم تكن تتحقق نظرية مهمة في السياسة الدولية ، وهى أن القضايا لن تحل إلا إذا تحولت إلى أزمة ساخنة .

وقال : كنت فى ذلك الوقت فى اليابان ، وشاهدت الجيش المصرى يعبر قناة السويس ، وكان هناك مؤتمر كبير رفع جلسته ؛ ليشاهد عبور القوات المصرية على شاشات التليفزيون ؛ وكان منظرا فريدا للغاية ، وتحضرنى هنا قصة . . إن صاحب شركة هوندا للسيارات أعطى أمرا إلى شركته ألا تغادر طائرة إلى مصر دون أن يكون فيها عدد من وحدات توليد الكهرباء الصالحة لإنارة المستشفيات بمسرح العمليات ، لتكون جاهزة فى حالة إذا ما انقطع التيار الكهربائى ، وشكرته وسألته عن حقيقة اتخاذ مثل هذا القرار . . قال فى ارتياح بالغ : هذا عمل من أعمال الساموراى ؛ أعمال الفرسان .

بعض الناس تحدثت عن الثغرة ، وكان لابد أن تحدث ثغرة أو ما يشبهها تطبيقا لنظرية فى السياسة الدولية تسمى نظرية الصفر حتى يجلس الأطراف على مائدة المفاوضات ، مفاوضات متكافئة ، ونظرية الصفر معناها أنا عبرت وأنت عبرت ، تجلس إسرائيل على طاولة المفاوضات وهى دولة لم تهزم هزيمة كاملة ، وتجلس مصر وهى دولة لم تنتصر انتصارا كاملا ، وهنا تتحرك المفاوضات ، وقد حققت معركة ١٩٧٣ كل أهدافها فى تحويل القضية إلى أزمة وبالتالى المفاوضات وتحرير الأرض .

لواء أركان حرب عبد المنعم مصطفى : من أهم العوامل التى ساعدت على تعبئة الشعب المصرى وتعبئة القوات المسلحة ورفعت الروح المعنوية، ثورة ١٤ و ١٥ مايو التى قضت على مراكز القوى وخلقت مناخا سياسيا جديدا لم يكن موجودا من قبل. ومن الأشياء المهمة أيضا عودة مصر إلى الحياة، لأن الرئيس الراحل أنور السادات بعد أن قضى على مراكز القوى أعاد اسم مصر الذى هو بمثابة اللبنة الكامنة فى رفع الروح المعنوية للقوات المسلحة، بجانب ما أشار إليه أستاذنا حافظ إسماعيل، وأعنى عملية طرد الخبراء الروس التى أعطتنا الإحساس بأننا سنقاتل وقريبًا جدا جدا . .

لواء أركان حرب طلعت أحمد: النقطة الأولى : معركة ٧٣ أظهرت التفوق العربى على إسرائيل، كما أظهرت أن هذه الحرب كانت استثناء من قاعدة أن إسرائيل عادة فى الحروب تنفرد بكل دولة عربية على حدة، حيث كان التنسيق مع القوات المسلحة السورية، والتعاون الذى بدا من أغلب القوات المسلحة العربية رغم أن الكثير منها لم يكن على علم ببداية الحرب.

النقطة الثانية: الحرب الشاملة التى عبر عنها سيادة المشير بالقول بأنها حرب شاملة . . هى حرب شاملة من حيث إنها لم تكن فقط عسكرية وإنما عسكرية وسياسية واقتصادية.

كما أنها حرب شاملة . . بمعنى أنه كان هناك تنسيق بين جميع أفرع القوات المسلحة، ومن المعروف أن إسرائيل كانت تعتمد على ما يسمى بالثنائى : الطائرة والدبابة، واستطاعت من خلال هذا الثنائى أن تحقق نجاحات فى معارك سابقة ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ لكن فى هذه الحرب فقدت

هذه الميزة؛ نتيجة للتنسيق الذى تم بين جميع الأفرع، وهنا اكتشفت إسرائيل أنه ليس لديها مشاة وليس لديها مدفعية وهذا النقص حاولت تغطيته فى دراستها للحرب بعد ذلك.

وطلب المشير محمد على فهمى من حسن أبو سعدة أن يتحدث عن ركائز النصر فى الفرقة الثانية مشاة.

الفريق حسن أبو سعدة:[1] استعرض الاستحكامات التى أقامتها إسرائيل على طول قناة السويس، خاصة الساتر الترابى والنقط الحصينة لقواتها فى خط بارليف، والتى وصلت إلى ٣٢ نقطة على طول خط المواجهة، وقد اختيرت مواقع هذه النقط بعناية شديدة للسيطرة على الطرق والاتجاهات التى تسمح بعبور القناة إلى الضفة الشرقية، وذلك بتكاليف بلغت ١٢٨ مليون دولار تقريبا.

وأشار إلى أن إسرائيل كانت تعتمد على تحقيق النصر ضدنا على نظريتين.. الأولى: المحافظة على فارق تكنولوچى يساوى مرحلة تكنولوچية كاملة.

الثانية: حرب الذعر.. وهى أنها فى كل حروبها تبعث بعنصر صغير من قواتها إلى خلف القوات الرئيسية المقابلة لها، وإلى أعماقها فى الحروب «الثغرة مثلا» لزلزلة فكر القيادة المصرية أو القيادة العربية التى تواجهها، فتبدأ هذه القيادة فى الانهيار أمام هذا الأسلوب، لكن إسرائيل فى هذه المرة لم تنجح فى موضوع الثغرة، ولا فى تحقيق الفائدة المرجوة منها.

---

(١) قائد الفرقة الثانية المشاه أثناءمعركة اكتوبر وسفير مصر الأسبق فى لندن.

كما أشار إلى أن إسرائيل كانت تعتمد فى حروبها على الطائرة والدبابة، إلا أن القوات المصرية وضعت فى حساباتها كل ما كانت ترتكز عليه إسرائيل فى حروبها ضد العرب وضد مصر بوجه خاص . . لذا فشلت هذه المرة فى مواجهة القوات المصرية التى تمكنت من تحقيق عبور ٥ فرق مشاة بالكامل، وكان فى تصورها أن مصر لن تعبر، وإذا عبرت لن تعبر بأكثر من فرقتين . . ومن أجل هذا وضعت الاحتياطى المضاد الإسرائيلى شرق المضايق، عبارة عن لوائين مدرعين منهم أجزاء صغيرة موجودة قرب قناة السويس، وكان تقديرهم أنه بوضعهم فى شرق المضايق سيكونون فى أمان تام، والحقيقة أن قرار القوات المصرية الخاص بعبور ٥ فرق مشاة، كان شجاعا بكل المقاييس فى وقت سمح السوفييت فيه بتقديم كبارى ومعدات محدودة تسمح بعبور فرقتين فقط .

السوفييت وتثبيط الهمم :

وقدم الفريق حسن أبو سعدة ملاحظة تستحق التسجيل، وهى أن الاتحاد السوفييتى كان حريصا على تثبيط الهمم لدى القوات المصرية، وأشار فى هذا المجال إلى أن جميع الخبراء السوفييت - وكأن لديهم تعليمات - كانوا يتكلمون بشكل رسمى إلى قادة كل الفرق عن أن حالة القوات المصرية الراهنة لا تسمح بعبور القناة، ولا تسمح بالهجوم على القوات الإسرائيلية القادرة على تدمير القوات المصرية، إذا فكرت فى أى من الأوقات فى العبور .

واستعرض الفريق أبو سعدة محاولات القوات المصرية للتغلب على الساتر الترابى، الذى وصل ارتفاعه فى بعض النقط إلى ٣٠ مترا، وكيف

أن ضابطا صغيرا منتدبا من مهندسى السد العالى استطاع أن يلحظ عملية فتح التراب بالمياه وبعدها نجحت مصر فى الحصول على طلمبات نفاثة من شركات ألمانية ، وأشار اللواء حسن أبو سعدة إلى الحيرة التى انتابت المخابرات الإسرائيلية والأمريكية لمعرفة سر استيراد مصر لهذه الطلمبات .

وتحدث الفريق أبو سعدة عن موضوع نقص القوات ونقص الإمكانات بالحساب العسكرى ، وقال إن هذا النقص تم تعويضه بإنشاء الدفاع الجوى كقوة رابعة فى القوات المسلحة ؛ لتعويض النقص فى القوات الجوية ، كما تم تعويض النقص فى الدبابات بالنجاح فى الوصول إلى الصاروخ المالوتكا الذى استمر ومعه القاذف الآر بى جيه فى تدمير الدبابات والقوة الإسرائيلية المتحركة . . هذا كله مع عنصر المفاجأة والسرية التى وصلت إلى درجة شديدة ، وعناصر أخرى كالتمويه بأن القوات المسلحة ليس فى نيتها أن تحارب ، ومن بين ذلك تسريح دفعة جنود مؤهلات عليا موجودة منذ عام ١٩٦٧ ، والإعلان عن سفر المشير أحمد إسماعيل إلى رومانيا ، إلى جانب الإعلان عن رحلات حج وعمرة لرجال القوات المسلحة .

اللواء جمال حماد :[١] تناول فى حديثه موضوع المفاجأة والسرية التامة فى التجهيز للحرب ، وكيف أن مصر نجحت ، وكان الله معنا فى هذه الخطة ، وذلك إلى جانب إشارته إلى رئيس المخابرات الإسرائيلية فى ذلك الوقت وهو «إلياهو زعيرا» الذى كان يطمئن القادة العسكريين فى إسرائيل ، بأنه لن تحدث حرب من جانب مصر أو سوريا .

---

(١) مؤرخ عسكرى ، ومحافظ سابق .

ضربة حظ لمصر فى الموساد :

وعندما أبلغوه ببعض الظواهر الغريبة فى الجولان «تحريك مدفعية أو صواريخ» وفى مصر كل المدفعية تقدمت إلى الأمام ، وهناك أماكن على الضفة الغربية للقناة أصبحت مليئة بمعدات العبور ، قال زعيرا لهم عن كل هذا إن ما يحدث فى سوريا تشكيلات طوارئ ، وما يحدث على الجانب المصرى مناورة وليس استعدادا لحرب ويؤكد «زعيرا» للعسكريين الإسرائيليين أن الحرب مستبعدة من جانب مصر وسوريا .

والذى ساعد على ذلك أنه حدثت معركة جوية يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٧٣ غرب طرطوس بسوريا وأسقط الإسرائيليون ١٣ طائرة سورية فى كمين ، وعند ذلك قال لهم «زعيرا» إن تقييمه سليم بأن سوريا لن تهاجم .

وعندما اكتشف العسكريون فى إسرائيل مغادرة زوجات وعائلات المستشارين السوفييت ، فى كل من مصر وسوريا على متن الطائرات السوفييتية والأسطول السوفييتى ، وأكدوا لزعيرا أن هذا مؤشر لهجوم ، أكد لهم أيضا أن مصر لن تحارب ، والمخابرات الأمريكية أكدت هذا الكلام .

ويوم الجمعة قبل بدء العمليات بيوم عقد اجتماع برئاسة الأركان الإسرائيلية حضره وزير الدفاع ، وأكد فى الاجتماع أن هجوما سيحدث بنسبة ١٠٠٪ . . فرد عليهم «زعيرا» إن عائلات السوفييت الذين غادروا مصر وسوريا قد يكون بسبب أزمة بين مصر وسوريا وبين موسكو ، ولكن موشى ديان لم يصدق «زعيرا» وقال له أنا غير موافق على كلامك .

وأكد جمال حماد أن حالة الاستعداد القصوى أعلنت فى إسرائيل يوم الجمعة وليس يوم السبت، وحالة الاستعداد فى إسرائيل معناها إلغاء الإجازات، وجميع الناس فى مواقعها، والطيران الإسرائيلى يكون جاهزا للتحرك وجميع القادة فى أماكنهم.

من الذى أبلغ إسرائيل بنبأ الهجوم ؟

ومضى جمال حماد فى حديثه قائلا :

وصل إلى الإسرائيليين خبر يفيد أن الهجوم سيبدأ فى السادسة مساء السبت ٦ أكتوبر وليس فى الثانية ظهرا، وكانت الغلطة الوحيدة التى وقعوا فيها.

هذا التحذير الذى وصلهم ليس فى استطاعتنا اتهام شخص أو دولة بعينها، وقد بحثت كثيرا فى هذا الموضوع ولم أصل إلى شيء، وذلك فى وقت كان الكثيرون يعرفون ومنهم مصريون وسوريون وأردنيون وسوفييت.

ومع ذلك فلا يصح لنا أن نظلم أحدا، وبالطبع إسرائيل لم تكشف النقاب عن الذى أبلغها بنبأ الهجوم نظرا للتقاليد الموجودة فى المخابرات الإسرائيلية.

حيرة إسرائيل بالنسبة لضربة الإجهاض :

وعندما تم إبلاغ موشى ديان بأن هجوما سيحدث عقد اجتماعا حضره جميع رؤساء الأفرع ورئيس الأركان فى السادسة من صباح يوم ٦

أكتوبر، وطلبوا منه القيام بضربة إجهاض وتعبئة الاحتياطى، ثم عُقد اجتماع فى مكتب رئيس الأركان وطلبوا أيضا القيام بضربة إجهاض، ثم انتقل الجميع إلى مكتب وزير الدفاع، وكرروا الطلبين السابقين، ثم طلبوا من قائد القوات الجوية أن يكون على استعداد للقيام بضربة إجهاض الساعة الواحدة ظهرا، وظلت الاتصالات مستمرة، والجميع متفق على القيام بهذه الضربة، ولكن موشى ديان رفض ذلك لمحاذير عسكرية وسياسية، من بينها غابة الصواريخ الموجودة غرب القناة، وقال لهم إن الوضع يختلف عما كان عليه عام ١٩٦٧ وأعرب عن خوفه من هزيمة ضربة الإجهاض.

كما حدث أن جولدا مائير عقدت مؤتمرا الساعة الثامنة صباحا والسفير الأمريكى خارج المكتب ينتظرها، وطالبها وزراء المطبخ بضربة الإجهاض التى رفضتها تماما، لكنها وافقت على استدعاء ١٢٠ ألف مقاتل، غير أن الزمام أفلت من أيدى الإسرائيليين، حيث إنهم لن يستطيعوا التغلب على المفاجأة، حيث كانت مصر وسوريا مستعدتين تماما وفى انتظار ساعة الصفر.

وكان القتال على جبهتين، ومن الصعب على الإسرائيليين مواجهة هذا الموقف، ولأنه كان من الصعب اشتراك الاحتياطى فى المراحل الأولى وفى الوصول إلى قناة السويس فى وقت قريب، بعكس سوريا حيث المسافة بين إسرائيل وسوريا ٢٥ كيلو مترا ـ عرض مرتفعات الجولان ـ وكان استدعاء الاحتياطى الإسرائيلى يستغرق ٤٨ ساعة، مما أفقدهم سرعة التصرف، وأصابهم بالارتباك الشديد، ولذلك تحققت المفاجأة الإستراتيجية والمفاجأة التكتيكية.

الفريق أول يوسف صبرى أبو طالب :[1] أعتقد أن الجميع متفقون على أن حرب عام ١٩٧٣ حركت القضية وحررت جزءا من سيناء، وتم استكمال تحرير الأرض المحتلة فى سيناء بالسلام فى الوقت الذى مازال فيه الآخرون يفاوضون على التحرير حتى الآن.

كما هدمت هذه الحرب نظرية الأمن الإسرائيلى، وفتحت الطرق إلى السلام الذى لا بديل عنه كأمل وحيد للتنمية الشاملة.

والنقطة التى أحب أن أشير إليها هو اشتراك ٤ آلاف مدفع فى الهجوم، اشترك ألفان منها فى التمهيد النيرانى، مما يؤكد أن هذا العدد الضخم من المدافع والصواريخ كان بمثابة أكبر حشد عسكرى فى تاريخ المنطقة، إذا قورن ذلك بمعارك العلمين حينما حشد مونتجمرى ٧٠٠ مدفع فقط.

وهناك درس خطير جدا وهو العلاقة بين المركزية واللامركزية فى القيادة، وكيف يمكن باللامركزية أن تصل إلى تفجير الإبداع والطاقة للفرد والوحدة الصغرى والوحدة الأكبر؛ حسب متطلبات المعركة المباشرة.

وكيف يمكن فى الوقت المناسب الحشد بالمركزية حول هدف مهم مؤثر على مجريات الأمور، وأعتقد أننا اكتسبنا هذا من معارك الاستنزاف التى لم تستفد منها إسرائيل. حيث كانت كل تكتيكاتها بالنسبة لنيران المدفعية تكتيكات صغرى لمدافع فردية أو سرايا متناثرة، أما نحن فكانت

---

(١) رئيس أركان المدفعية أثناء معركة أكتوبر، ووزير الحربية والقائد العام الأسبق.

نقطة القوة الموجودة هى قوة النيران ، وإدارة هذه القوة باقتدار وجسارة فائقة .

وأحب أن أقول للشباب وللإدارة . . كان موضوع لامركزية ومركزية الإدارة من أهم الموضوعات ، التى يجب أن تكون موجودة لدى جميع القيادات ، على جميع المستويات ؛ لتشجيع الإبداع الفردى ثم الوحدات الأكبر والأكبر ؛ ولا تكون المركزية إلا لوضوح الرؤية والسياسات ولحشد القوى فى الاتجاهات المختلفة .

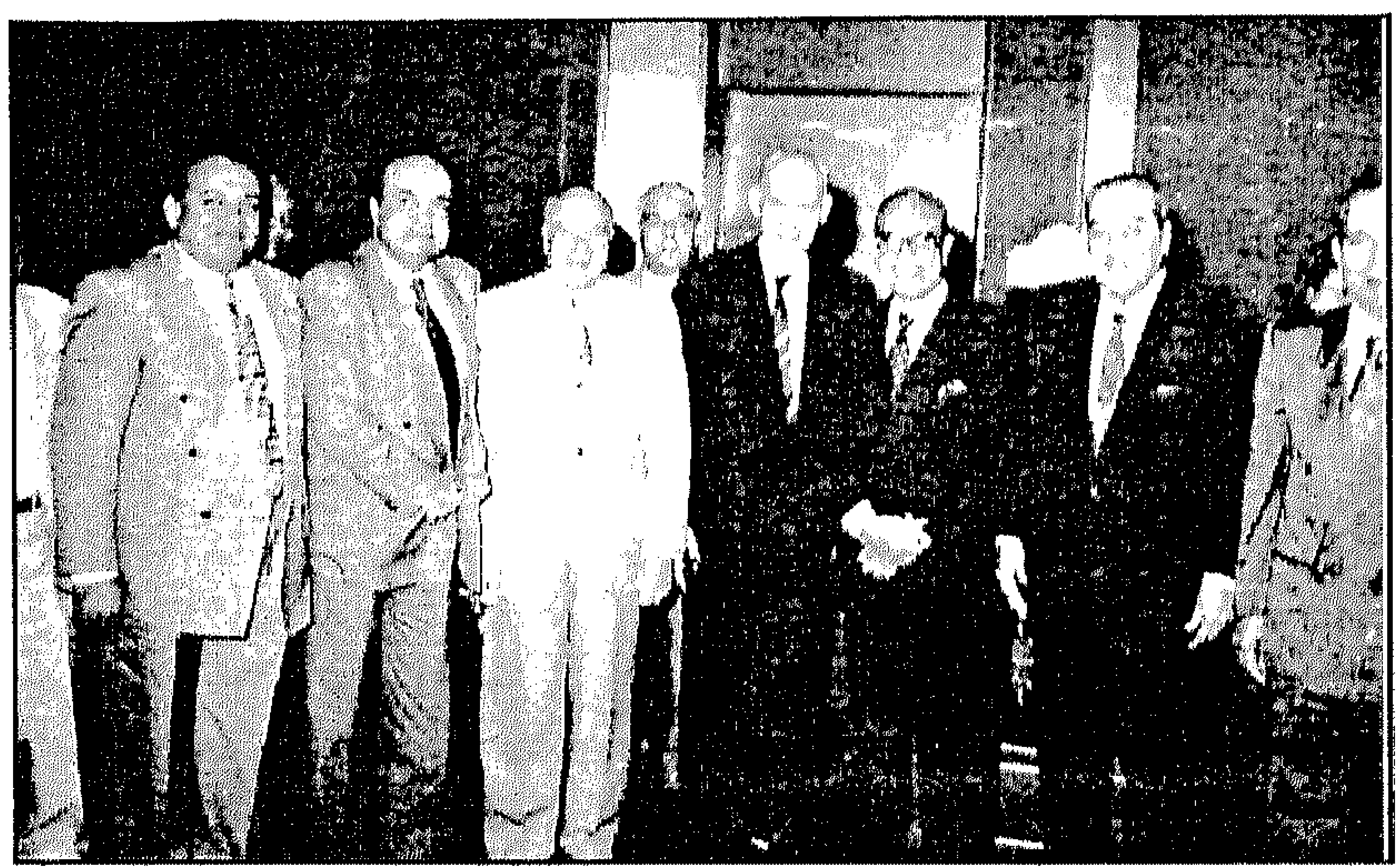
الفريق عبد رب النبى حافظ :[1] روح أكتوبر كانت هى روح الفداء . . روح الإصرار والتضحية التى ضحينا بها من عمرنا ٧ سنوات فى الملاجئ والحفر . . لكن ذلك كله كان لهدف رفعة اسم مصر واسم قواتنا المسلحة ، وأوجه سؤالا . . لماذا لم تنتقل روح أكتوبر لبقية قطاعات الدولة ؟ وأطالب جميع القطاعات بأن تعمل بالجدية نفسها التى عملت بها القوات المسلحة ، والتى انتهت بانتصار أكتوبر .

---

(١) قائد الفرقة ١٦ المشاة أثناء معركة أكتوبر ، ورئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق .



المشير يتحدث فى صالونه الثقافى وإلى جانبه السيدة حرمه وحوله مجموعة من أصدقائه الإعلاميين والعسكريين والرياضيين



مجموعة من ضيوف صالون المشير محمد على فهمى، الفريق يوسف صبرى أبوطالب قائد المدفعية فى حرب اكتوبر واللواء جمال حماد المؤرخ العسكرى، اللواء حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى الأسبق، اللواء محمود الأنصارى ـ اللواء حسن أبو سعدة واللواء رحمى



الفريق يوسف صبرى أبو طالب يحكى عن أمجاد القوات المسلحة فى معركة أكتوبر



محمد سالم مدير عام الأنشطة الثقافية يقدم للصالون



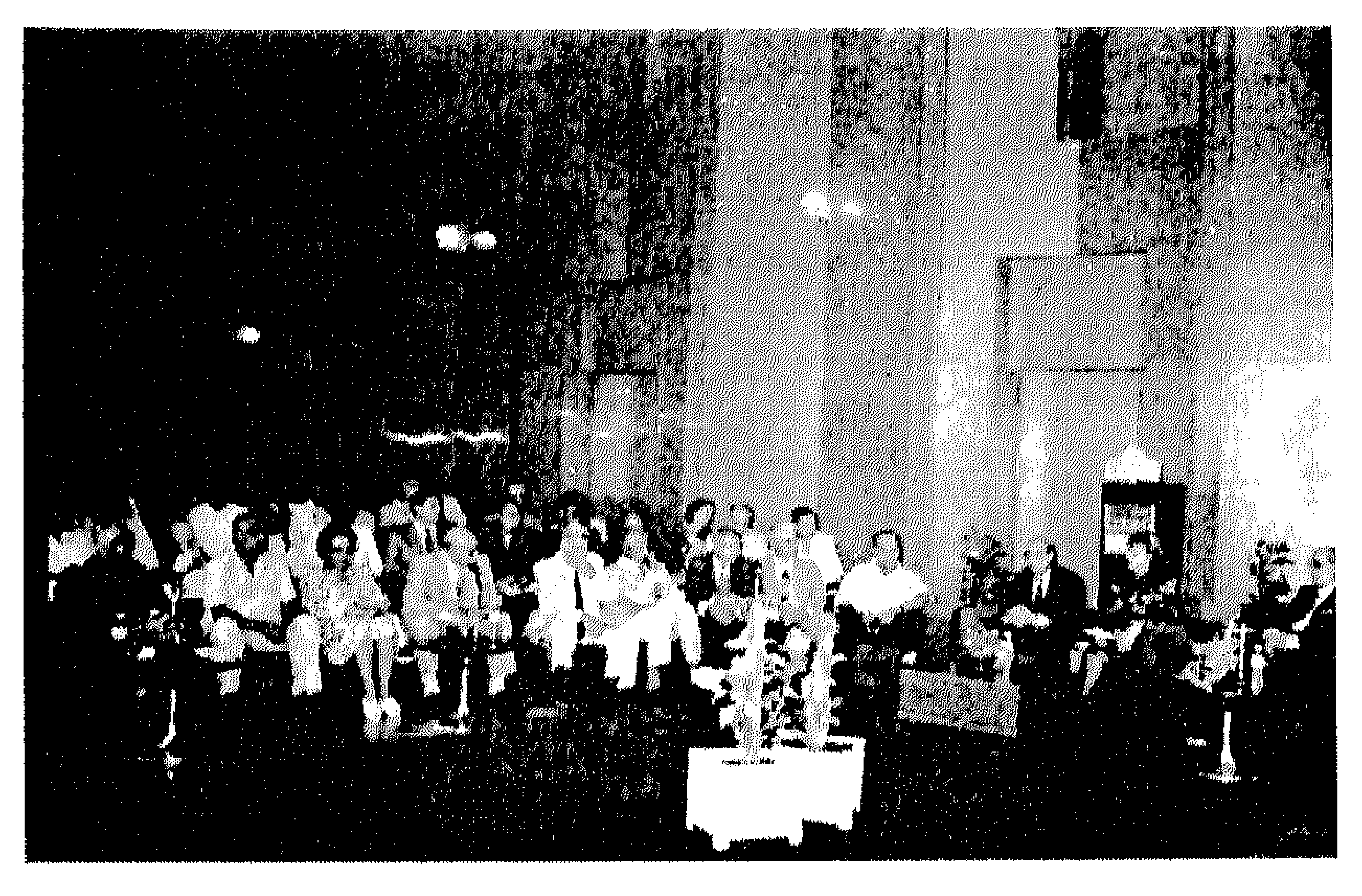
لواء أ.ح . محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى بالجبهة
فى ١٠/ ٣/ ١٩٧١



اللواء جمال حماد المؤرخ العسكرى يحكى ملحمة العبور.. كشاهد من ابنائها



مشير محمد على فهمى مع عائلته وأصدقائه فى صالونه الثقافى



صورة بانورامية لصالون المشير محمد على فهمى

فهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ١٤٥٥٠ /٩٨
I.S.B.N. : 977 - 09 - 0502 - X

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥(٠١)